حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الثالث ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٤هـ / تموز ـ ٢٠١٣م

٣

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٣٥م يظهر فيها محراب أمير المؤمنين وبقية المحاريب المقدسة للأنبياء والصالحين

الأوضاع البلدية في مدينتي النجف والكوفة
من خلال التقرير البريطاني السنوي لعام ١٩١٨
(دراسة تاريخية)

الأستاذ المساعد الدكتور عدي حاتم المفرجي

الدكتور نعيم عبد جودة الشيباوي

جامعة كربلاء - كلية التربية - قسم التاريخ

مقدمة

تعد الأوضاع البلدية في العراق من الحلقات الإدارية التي سهلت حكم العراق وإدارته، والأوضاع هي الخدمات البلدية من حراسة الأسواق إلى تخطيط المدن وتأمين المياه الصحية ودفع الأوبئة وتطوير المواصلات وإدارة الأسواق والنظافة وحتى الأبنية وعمارتها، واعتمدت الدراسة على الأوضاع في مدينتي النجف والكوفة من خلال التقرير السنوي البريطاني لعام ١٩١٨ عن هاتين المدينتين، والذي كان مفصلاً ودقيقاً في كثير من النواحي الاجتماعية ومعرفة المزاج العام عند أهالي المدينتين ورغبتهم في أوضاع بلدية جيدة. أفرز هذا التقرير السنوي تسعة تقارير مفصلة تبدأ من منتصف عام خمسة وثمانين وتنتهي بأربعة وتسعين، وهذه التقارير تمت دراستها وتحليلها وبيان السياسة البريطانية في معالجة ملف الخدمات، والجدير بالذكر إن صفحات تسعة وثمانين وتسعين وإحدى وتسعين هو مخطط للرسم البياني عن واردات البلدية بالأشهر أفقيا والسنين عموديا مع مبالغ الواردات البلدية ونموها وأنواعها.

ابتدأت الدراسة بتمهيد عن الأوضاع التي مرت بها مدينتا النجف والكوفة من الخدمات وإدارة المدينتين في العهد العثماني حتى إنشاء بلديتيهما مع بيان الأوضاع الاقتصادية لأنها روح هاتين المدينتين وعامل مساعد في نجاح البلدية، وبيان الأوضاع السياسية بعد الحرب العالمية الأولى ودخول هاتين المدينتين في سياسات إدارية جديدة ومنها البلدية ووضع وسائل نموها وتحسين الأوضاع الخدمية بعد تشخيص العلل، وإظهار ثمرات العمل الإداري وتحليله ومعرفة ردة فعل الأهالي على الأوضاع الجديدة.

(*)

التمهيد

الأوضاع العامة في مدينتي النجف والكوفة

أولا: نشأة بلديتي النجف والكوفة

كانت الأمور البلدية إبان العهد العثماني[١] تدار من قبل متولي القضاء الذي اعتمد في إدارته وفق ما درسه من النظم الإسلامية، ولذا فبعد احتلال العثمانيين بغداد ١٥٣٤ قسموا العراق إلى وحدات قضائية كل واحدة منها تحت إشراف قاض يدير الأمور الخدمية من مراقبة الأسواق إلى جمع الضرائب وحفظ الأمن[٢].

ولذا فالقاضي هو رجل البلديات والمسؤول المباشر حتى تأسست أول بلدية في العاصمة العثمانية (إسلام بول) - مدينة الإسلام - عام ١٨٥٤ بسبب الحاجة المتزايدة في توفير الخدمات للمجتمع بشكل منظم وممنهج مقنن وفق النظم الإدارية الحديثة التي تضمن تنمية العاصمة العثمانية وأعمارها، فكانت النواة الأولى هو إنشاء جهاز بلدية أولي يدعى (إسلام بول شهر أمانتي) أي (أمانة العاصمة) ويرأسها (شهر أمانتي) أي (أمين العاصمة) الذي لم يصل الى دور ذلك

(١) هي تأنيث لَبلَدَ، وبَلَدَ هو المكان أو من أقام في هذا المكان واسمه بالد وهي الأرض، والبَلَدُ والبَلْدَة هي كل موضع من الأرض عامرا كان أو خلاءً، وايضاً راحة اليد والصدر مثل ما يقال تبلد الرجل أي وضع يده على صدره عند تحيره من امر ما، والبَلَد هي صدر القرى ومن يتخذه فهو بالد، وهي الدار والمقبرة تسمى بلد، وايضاً هي توضح لجنس المكان مثل بلد العراق وبلدان الشام، والبَلْدَةُ هي قطعة من بلاد أي الجزء المخصوص منها مثل بلدة البصرة، وهي وصف للعريض مثل الشخص الذي لا يلتقي حاجباه. ابن الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج١ (بيروت : الدار الإسلامية، ١٩٩٩٠)ص ٢٩٨؛سعيد الخوري الشرنوتي اللبناني، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج١ (قم: دار الأسوة، ١٩٩٥)ص١٩٦.

(٢) عبد العظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤- ١٩١٨ (قم: مط شريعت، ٢٠٠٥)ص٣٣- ٣٤.

القاضي المسؤول عن البلدية فيما مضى، بسبب حداثة هذه الدائرة ونظمها على أمين العاصمة، وهذا الأمر دفع بالحكومة العثمانية الى تشكيل لجنة تقوم بدراسة إمكانية تأسيس (دوائر بلدية) على غرار نظام البلديات في الدول الأوربية، وبعد أربع سنوات من الدراسة قدمت هذه اللجنة توصيات الى الحكومة العثمانية تفيد بإنشاء بلديات في المدن العثمانية تسدد نفقاتها من الضرائب والرسوم، فضلا عن توصية أخرى تقضي بأن تكون للبلدية ذمة مالية مستقلة تساعدها على أداء الخدمات، وبناءً على هذه التوصيات تم إنشاء بلدية في عام ١٨٥٨ في المنطقة السادسة من العاصمة وتدعى (غلطة – بك اوغلي) وهي منطقة عرفت بالحركة والنشاط التجاري، ومسكن عدد من الأجانب، وسبب اختيار الحكومة لها هو لأهميتها التجارية، فضلا عن عجزها في تقديم خدمات كاملة لها[١].

ويبدو إن نجاح (بلدية غلطة – بك اوغلي) في نشاطها قد شجع الحكومة العثمانية على فتح دوائر بلدية في الولايات العثمانية. ففي عام ١٨٦٤ قررت الحكومة العثمانية تشكيل بلديات في مراكز الألوية والاقضية، بل أصدرت تعليمات حكومية[٢] في عام ١٨٦٧ حددت بموجبها وظائف وإعمال المجلس البلدي ومهامه، وتعليمات أخرى[٣] في عام ١٨٧١ حددت كيفية تشكيل المجالس البلدية، والشروط الواجب توفرها في عضو المجلس البلدي[٤] وقد أثمرت تلك التعليمات بتأسيس أول بلدية في العراق ١٨٦٩في بغداد[٥] ولكن بدون شك كان للوالي المصلح (مدحت باشا)[٦] دور في فتح تلك البلدية.

وحصرت الحكومة العثمانية واجبات المجلس البلدي من القضايا الخدمية ومراقبة المشاريع والخدمات في قانون البلديات لعام ١٨٦٨ وهي: –

١-المحافظة على نظافة المدينة في كل الأوقات وردم النفايات بحفر خنادق خارج البلدة.

٢-توسيع الشوارع وإصلاحها وإنشاء الأرصفة وتحسين طرق المواصلات.

٣-تفتيش المباني الحكومية وترميمها، وبناؤها بموجب النظام الخاص بها.

٤-إدارة الأبنية والعرصات العائدة للبلدية ومبادلة هذه الأبنية بغيرها او تفتيشها أو بيعها وتسجيل جميع الأملاك غير المنقولة مع بيان قيمتها وايرادتها وأسماء أصحابها ووضع الرسوم الهندسية وتسجيل السكان والمتوفى منهم.

٥-تحسين منظر البلدة وإنارتها وإنشاء الميادين والحدائق العمومية.

٦-وضع التعريفات الخاصة بأجور المركبات والنقل ضمن حدود البلدية وتفتيش الخيول والعربات للتاكد من سلامتها وتخصيص محلات لوقوف تلك الوسائل.

٧-مراقبة الخانات والمقاهي والملاهي والأبنية العمومية.

٨-إنشاء المسابح ومنع الاستحمام في الخلاء.

٩-تهيئة معدات إطفاء الحريق والعمل على إدامتها.

١٠-إنشاء الأسواق في الفسحات الرحبة الطلقة الهواء، وتفتيش المكاييل والموازين والمقاييس، وتحديد أوزان الخبز وطريقة خبزه ونظافته ونظافة الدقيق والأوزان والعاملين بها، ومنع بيع لحوم الحيوانات المريضة أو الهزيلة ووجوب تغطية اللحوم في دكاكين القصابين بقماش رقيق، ومنع بيع الأطعمة المضرة بالصحة العامة، وبناء المسالخ في مواقع ملائمة.

١١-منع احتكار البضائع وحجبها عن الناس.

١٢-إنشاء المستشفيات وملاجئ الفقراء.

١٣-استخدام المتسولين القادرين على العمل منهم للحد من ظاهرة التسول ودفن موتى الفقراء.

١٤-إنشاء المدارس الصناعية لتثقيف العميان والبكم والأيتام لتحويلهم الى عنصر مفيد للمجتمع.

١٥-منع ما يخل بالآداب.

١٦-الإشراف على جباية الإيرادات وإنفاقها على المنافع البلدية حسب الأنظمة.

١٧-فحص الميزانية المعتادة وغير المعتادة وتحديد طريقة صرف المبالغ المعين صرفها بالميزانية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٧- ٩٨.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن قوانين تأسي دائرة البلدية والمهام الملقاة على هذه الدائرة ينظر: المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن قوانين انتخابات دائرة البلدية إلية تشكيل مجالسها ورؤسأها: ينظر المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٢- ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٦) ولد في العاصمة (إسلام بول)١٨٢٢ من عائلة دينية عرفت بالعلم والتقوى، ولقب بالحافظ في عمر العاشرة لأنه حفظ القرآن الكريم ولقب بالديواني لأنه التحق بالديوان الهمايوني، وتنقل مع والده القاضي من ولاية إلى أخرى، فأكتسب الكثير من المعرفة، تفتح عقله على مساوئ الإدارة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد وهذا الفساد والضعف من شأنه ولادة دعوات الإصلاح فكان من الداعين بالإصلاح، تولى إدارة العراق عام ١٨٦٩ وحتى عام ١٨٧٢، وخلال حكمه فرض جملة من الإصلاحات منها توطين العشائر وفرض الأمان وتحسن في الأوضاع الزراعية والصناعية، وفتح مطبعة في بغداد واصدر صحيفة واسماها (الزوراء) وفتح شركة نهرية وشركة نقل بين بغداد والكاظمية، وكون مجلس شورى بغداد، ونظم الضرائب. احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط٣ (القاهرة : مط المعرفة، ١٩٧١)ص٢٨.

١٨-إجراء المزايدات والمناقصات بموجب قوانين البلدية.
١٩-فحص جميع المقاولات والعقود التي يعقدها المجلس والمصادقة عليها.
٢٠-مناقشة الاقتراحات التي يقترحها رئيس البلدية لأجل تعيين الموظفين او عزلهم ضمن حدود الميزانية المصدقة.
٢١-فحص القيود والسجلات المتعلقة بالأمور الهامة.
٢٢-إتلاف ما يضر بالمنتج الزراعي كالجراد والأوبئة.[١]

قَسَم هذا القانون البلدية الى شُعب يديرها موظفون هي الشعبة الهندسية ويديرها مهندس يعاونه معمار وعدد من الموظفين، ومهامه منح إجازات البناء وتفتيش الأبنية وفحصها ورفع كشف بها موضح فيه متانة البناء ومخططات الشوارع وجمالية المدينة، وشعبة المحاسبة ويرأسها موظف يطلق عليه أمين صندوق ويعاونه عدد من الكتبة ومهامه المسؤولية الحسابية إمام رئيس البلدية، وشعبة التحرير ويرأسها موظف بمنصب (رئيس الكتاب) ويعاونه عدد من الكتاب هم من موظفي الأملاك والإحصاء والنفوس، ومهام هذه الشعبة تسجيل مقررات المجلس البلدي في السجلات الخاصة وتنظيم الملفات لحفظ الصور والكتب من الصادرة، وشعبة التفتيش تعد من أهم الشعب لمسؤوليتها عن نظافة المدينة وتنظيم الأسواق ومراقبة من يحاول الغش في المقاييس والأوزان والمكاييل ومنع بيع الأطعمة الفاسدة ومصادرتها وحماية الأرصفة والطرق من التجاوز وتهيئة مستلزمات إطفاء الحرائق، والحراسة الليلية، وشعبة الطبابة ويديرها طبيب ومعاون صحي وأنيط اليهم معاينة المرضى مجاناً مرتين في الأسبوع في مكان يتفق عليه من المدينة - عام - ووضع القانون واردات للبلدية من خلال الضرائب المخصصة للبلديات من قبل الحكومة مثل ضريبة (الطمغة- الختم) والرسوم التي تفرضها دوائر البلدية مثل رسوم البناء وذبح الحيوانات وبيعها ورسوم (الباسبانية) المفروضة على محلات الحرفيين وأصحاب المهن، و (الاصنافية) المفروضة على التجار، و (الاغباني) المفروضة على خيوط الشعر التي يحاك منها القماش المعروف بالاغباني، ورسوم الكيل والقبانية والدلالية وهي مبالغ مقطوعة للدولة، ورسوم الأختام المفروضة على المنسوجات غير الخاضعة للرسم الكمركي والبضائع المصدرة إلى جهات ليس فيها دوائر حكومية مثل البادية. وهناك مبالغ مستحصلة من بيع الأراضي الواقعة داخل المدن، ومبالغ تؤخذ من الأشخاص الذين ينتفعون من إصلاح الطرق أو إعادة تخطيطها، ومبالغ الغرامات على المخالفين لأوامر البلدية وتعليماتها مثل التجاوز وعدم النظافة والمبالغ المستحصلة من تأجير البنايات التابعة للبلدية، والاكتتابات والهبات التي تكتب بها للبلديات او توهب لها[٢].

حظيت مدينة النجف[٣] بتأسيس دوائر بلدية شأنها شأن المدن التي كانت تتمتع بمزايا الاقتصاد الجيد[٤] لأنها تستطيع سد نفقات البلدية من الضرائب التي تشكل جزءاً واسعاً في بناء المشاريع وتوفير الخدمات، فتأسست بلدية النجف في عام ١٨٧٥ وكان موظفوها يرتدون الملابس الرسمية الحكومية في الاحتفالات الرسمية دليلاً على انتمائهم الحكومي بل تمتعوا بسلطات واسعة وهيبة عالية والتدخل في شؤون الحياة، فكانت لديهم سلطة التدخل في الترميم والأعمار للأبنية المقدسة في المدينة، ففي عام ١٨٩٧ قامت بلدية النجف بترميم رأس المنارة الشمالية لمرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجددت فرش الصحن وقلع الصفائح الذهبية لتلك المنارة وإعادة بنائها بشكل أفضل، وارتبطت هذه الصلاحيات بقوة الدولة وضعفها، ففي إحداث النجف ١٩١٨ وفراغ السلطة من المدينة تدهورت الأوضاع البلدية واحتكرت البضائع وارتفعت الأسعار وانتشرت الأزبال[٥].

تأسست بلدية الكوفة[٦] بعد تحويلها من قرية إلى ناحية تابعة لمدينة النجف في عام ١٨٨٢ وشغل مدير ناحيتها منصب

(١) عبد العظيم عباس نصار، المصدر السابق، ص ١٤٨- ١٤٩.

(٢) حسين علي النجفي، كربلاء -الحلة - النجف (بيروت : الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨) ص٧٨ ؛ عبد العظيم عباس نصار، المصدر السابق، ص١٦٤- ١٦٥.

(٣) عرفت مدينة النجف بأسماء عدة هي (بانقيا والجودي والربوة والطور والظهر والغري والمشهد ووادي السلام) غير أن الاسم الأكثر تداولاً في وقتنا الحاضر هو اسم (النجف) الذي يعني لغوياً المكان المرتفع عما جاوره، و(النجَّفْة) أرض مستديرة وجمعها نجفٌ ونجافٌ، وهي المكان الذي لا يعلوه الماء او المكان المستطيل المنقاد لا يعلوه الماء أي المرتفع وجمعها نجاف وهي بطون من الأرض سهلة الانقياد. محمد جواد فخر الدين، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي (بغداد: دار الرافدين، ٢٠٠٥)ص٣٧.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن الواقع الاقتصادي لمدينة النجف ينظر: جعفر باقرمحبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، ج١ (بيروت : دار الأضواء، ١٩٨٦) ص٤٠٣- ٤٠٩.

(٥) عبد العظيم عباس نصار، المصدر السابق، ص٤٧ص٢١٨؛عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن المارشال (بيروت : مط العرفان، ١٩٨٣) ص٧٤؛محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تهذيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ج٣ (قم مط نكارش، ١٩٩٧) ص٩٣؛ حسين علي النجفي، المصدر السابق، ص٧٧.

(٦) سميت الكوفة قديماً بأرض بابل وخد العذراء واسمها قادم من اجتماع الناس فيها وتكوفهم أو أنها قادمة من تكوف الرمال أو أنها من كوفان وهو تل صغير في وسط مدينة الكوفة وسميت بكوفة الجند لاجتماع الجند فيها في الفتوح العربية الإسلامية، وهي عاصمة الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث ١٨٦٠- ١٩٧٣، ج ١ (النجف: مط الغري الحديثة، ١٩٧٤) ص١٦.

رئيس بلديتها، وبقي هذا الشكل الإداري حتى سيطر البريطانيون عام ١٩١٨ إذ فصلوا بين رئيس البلدية ومدير الناحية، وعرفت بلدية الكوفة بنشاطها الاقتصادي المرتبط مع وارداتها المرتفعة[١].

ثانياً : الأوضاع العامة في مدينتي النجف والكوفة ١٩١٤- ١٩١٨

الأوضاع الخدمية والاقتصادية

كانت مدينة النجف أحدى المدن المقدسة التي تمتعت بثقل اجتماعي وحضاري في العالم الإسلامي وهذا الأمر راجع إلى وجود ضريح (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) والمرجعية الدينية[٢] فكانت البيوت موزعة حول هذا الضريح في مناطق أربع (البراق والمشراق والحويش والعمارة) مبنية من الجص والطابوق المفخور والآجر المستخرج من أنقاض المدينة الإسلامية القديمة التي تقع في حدود الكوفة، عانت هذه المحلات من الاكتظاظ والزحمة بسبب صغر مساحتها فضلا عن وجود سور خارجي محيط بالمدينة يمنع تطورها[٣] والبيوت الصغيرة الحجم التي استغل أصحابها الأرض على شكل سراديب للحاجات المنزلية رغم بناء بيوتهم من طابقين، وفوائد هذه السراديب تتعلق بأنها أماكن باردة رطبة تنقذ ساكنيها من حرارة الصيف الملهبة فضلا عن استغلال بعضها على شكل مخازن لتلك المنازل، وتوزعت بيوت المدينة في محلات صغيرة غير منتظمة، وتتخللها الشوارع المرتفعة والمنخفضة المنتشرة هنا وهناك، ارتزق أصحابها من الصناعات الحرفية اليدوية وهي نسيج العباءة التي تصنف إلى (الدقيق) وهي (الخاجية) و (الثقيل الغليظ) هي (البريم) فضلا عن حرف أخرى وهي (الدباغة والصباغة وصناعة الأدوات المنزلية البسيطة في (سوق النحاسين) والأعمال الخدمية التي يقضونها لزوار ضريح (الإمام علي عليه السلام ومقبرة وادي السلام) وامتهنوا التجارة مع الحجاز ونجد واليمن والكويت والبحرين وإيران مثل بيع العباءات والجلود والتمور[٤].

وكانت أوضاع مدينة النجف الخدمية مترديه. إذ لا يوجد تصريف جيد لمياه الأمطار، والاعتماد على ارتفاع المدينة وتربتها الرملية التي تتمتع بقابلية امتصاص المياه، ولكن في الأيام التي تكون الأمطار فيها كثيفة (مثل أمطار عام ١٩١٥ التي استمرت خمسين دقيقة) أصبحت المدينة في حال مرثي، ووصل الأمر إلى أن الناس لم تتمكن من الوصول إلى بيوتها إلا بالتشمير والتحفي وخوض المياه "[٥].

وكان الماء الصالح للشرب والحاجات المنزلية لا يحسد عليه. لان مدينة النجف مرتفعة لا تصلها مياه جاريه، أو مياه عذبه من أبار منقبة بسبب التربة الكلسية في قسم المدينة الغربي والرملية في قسمها الشرقي، فظهرت مشكلة معاناة الناس تزداد مع ازدياد أهمية المدينة الدينية واستقطابها للزوار والمريدين، ولم توضع حلول مناسبة لتلك المعاناة التي كانت غاية في البؤس، فالحلول لم ترد تلك المعاناة سواء كان في فتح أبار لأنها تكون مالحة وغير عذبه، وصاحب البئر الذي تقل عنده هاتين الصفتين فهو صاحب امتياز في بئره، إما إيصال مياه جارية متصلة بقنوات ذات نوعين (المكشوفة والمغطاة) من نهر الكوفة أو من الحيرة فكانت مشاريع غير نافعة[٦].

كانت الأوضاع الصحية لا يحسد عليها. فهي سيئة بسبب أنها مدينة وافدين سواء للزيارة أو طلب العلم والتبرك بها، والسبب الأخر أنها مغلقة بسور مقابل ذلك الافتقارالى الخدمات البلدية غير المناسبة معها، لذا تعرضت إلى وباء (حمى كربلاء)[٧] عام ١٩١٥ أزهق عشرات الأرواح على الرغم من انتشاره في مدينة كربلاء إلا إن كثرة بطائح المياه الأسنة، وقلة العقاقير الطبية والإهمال في الرعاية الصحية، وفقدان الأطباء والإدارة الجيدة لشؤون المدينة عامل مساعد في وصول هذا

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٨ ص٢٤٩. وللمزيد من التفاصيل عن الأوضاع الاقتصادية في مدينة الكوفة ينظر: الأجزاء الثلاثة في المصدر نفسه.

(٢) المرجعية الدينية هي مؤسسة دينية علمية تعد امتداد لخط الإمامة، وحل المشاكل الشرعية بالنيابة عن الإمام المعصوم، وهي الأهمية التي مكنتهامن قيادة الشيعة لا في العراق فحسب، بل وفي بلدان العالم الإسلامي وبخاصة بعد تبني المؤسسة التعليمية (الحوزة العلمية) احتضان طلاب العلوم الشرعية من تلك البلدان. حمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف (قم: مط ستاره، ٢٠٠٤)، ص١٥٦. وللمزيد من التفاصيل ينظر: جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الأمامية (دراسة في التطور السياسي والعلمي) (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).

(٣) حيدر سعد الصفار، المجتمع النجفي في عهد الملك غازي ١٩٣٢-١٩٣٩ (دراسة في التاريخ الاجتماعي) القسم الاول "افاق نجفية" مجلة، النجف الأشرف، ع (١٣) س (٤) ٢٠٠٩، ص٩٦.

(٤) جعفر باقر محبوبة، ماضي، المصدر السابق، ص٣٩٩- ٤٠١.

(٥) مقتبس من محمد حسين حرز الدين المصدر السابق، ج٣، ص١٩٣.

(٦) محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تهذيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ج١ (قم مط نكارش، ١٩٩٧) ص٧٤. ص٢٧١- ٢٧٢.

(٧) ظهر هذا الوباء على شكل حمى خبيثة مرتفعة تفتك بصاحبها، وهناك أوبئة أخرى منتشرة قادمة مع الزائرين حتى من خارج العراق فمرض الهيضة وافد مع زوار الإيرانيين، فضلا عن وجود إمراض هي موجودة في مدن العراق وهي (الطاعون الدملي والطاعون والجدري والملاريا والبلهارزيا والانكلستومه (الدودة المعكوفة)). هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ت: عبد المسيح جويده، ط٢ (بغداد: مط السريان، ١٩٤٥)ص٥٠٠.

المرض[1]. ويمكن إضافة عامل أخر وهو إن معظم زائري كربلاء بعد إكمال مناسكهم وعند عودتهم يذهبون لمدينة النجف للزيارة وبخاصة زائري مدن جنوب العراق.

زود الصحن الحيدري بإنارة بوساطة قناديل موزعة في جوانبه بل هناك منارة ضوئية تعرف بالمسرجة موقعها قبال الباب الشرقي على شكل برج متفرع بشكل شجرة علقت على فروعها الشموع التي تسرج ليلاً فيضئ الجانب الشرقي من الصحن، ويقوم هذا البرج على دكه مربعة من الصخر الأبيض الكلسي[2].

تمتعت مدينة النجف بمصادر جيدة للدخل انعكس على أوضاعها الاقتصادية ويمكن إجمالها في ما يلي : -

١-ما يكسبه التجار من تجارتهم داخل مدينتهم وخارجها.

٢-ما يبعث به المسلمون الشيعة من حقوق شرعية الى النجف باعتبارها مقر الزعامة الدينية، والتي تصرف على الطلبة والفقراء، وبناء منشآت معرفية مثل المدارس الدينية والمكتبات، وعلى سبيل المثال لا الحصر (وقف أوده)[3]

٣-الدفن في النجف وهو مورد هام بسبب الأمور التي يجهز بها للمتوفى وحتى دفنه من غسل وتكفين وشق القبر، والقراءة عليه.

٤-ما ينفقه الزائرون لمدينة النجف من إقامة وشراء ما يستلزم لمتابعة سفرهم وشراء الكتب الدينية والمتنوعة والهدايا وغيرها، بل بعض الشيوخ لديهم دور خاصة لأوقات الزيارة يقضون فيها بعض الأيام مع خدمهم.

٥-ما يبعثه الملوك والوزراء من أموال لأعمار المرقد المقدس، وبناء المنشآت الخدمية وحفر الآبار وشق الأنهر وهذا الأمر وفر يداً عاملة وقلل من البطالة، فضلا عن ورود مبالغ نقدية من عوائل أجنبية ومحلية بصفة حقوق شرعية، ومبالغ على شكل هبات للصحن والى من يسكن جواره من الفقراء[4].

(١) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٢،

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص٤٦١.

(٣) هو وقف من المال من قبل مملكة اودة الهندية في دلهي (١٧٢٢- ١٨٥٦) لفقراء العتبات المقدسة في العراق وإيران، وهو يرجع إلى قيام هذه المملكة بمنح بريطانيا قرض وقدره (١٢١٠٠٠) روبية عام ١٨٢٥ واشترطت باسترجاعه على شكل فوائد ٥٪ توزع على العتبات الأنفة. جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، ج٤ (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٣)ص٢٧٨- ٢٨٠.

(٤) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤١- ٢٤٥.

تختلف الأوضاع العامة في مدينة الكوفة عن مدينة النجف. فهي مدينة غير مسورة يقسمها نهر الكوفة وهو من أفرع نهر الفرات إلى قسمين الشرقي ذو سكن عشائري ينحدر اغلبهم من (بني حسن) إما الغربي فيوجد قبر (مسلم بن عقيل عليه السلام) وإحياء بسيطة سكنها بعض من أهالي النجف الميسورين الذين أردوا التخلص من قلة المياه، والتمتع بالمناخ الجيد المفتوح على المدينة، ويربط هذين القسمين جسر ذو بناء بدائي من جذوع النخيل وسعفه والخشب المطلي بالقار على شكل (شخاتير او طبكات) يقع طرفه الغربي عند سوق الخلخالي وطرفه الشرقي عند الطريق الذي شق بساتين (بني حسن). وأوضاعها الخدمية سيئة ولكنها أفضل حالاً من مدينة النجف بسبب صغر المدينة، وإنها ذات واردات غطت بعض الخدمات، هذه الواردات القادمة من المرفأ التجاري واحتضانها لشواهد تاريخية مثل بيت (الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام) ووجود أسواق تجارية اشتهرت بها المدينة مثل الصيارفة والمسلفون، وخانات خزن البضائع والأمتعة[5].

الأوضاع السياسية

أصبحت مدينة النجف ملجأ لمعارضي الهيمنة العثمانية من الفارين من ساحات القتال وبخاصة بعد انكسارهم اثر (موقعة الشعيبة)[6] بل ظهرت فيها نقمة شعبية ضد الوجود العثماني، وبخاصة بعد قيام الحكومة العثمانية بإرسال جيش إلى مدينة النجف لإذلال أهلها بوساطة فرض الضرائب ومصادرة الأطعمة والمقتنيات الثمينة سواء كان من الميسورين ام من خزائن ضريح (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) بحجة دعم المجهود الحربي، وإجبار الرجال على التجنيد الإجباري واقتحام بيوت الناس وتفتيشها بطريقة مستفزة للمشاعر، إذ فتشت النساء بحجة الخوف من إن يكون رجل متنكر بزي أمرأة. وهذه النقمة عبر عنها أهالي النجف وحتى الكوفة في انتفاضة استعرت بعد قصف الجيش العثماني بمدفعيته احد مآذن الحرم العلوي، ودام القتال بين الطرفين لثلاثة أيام تم فيها طرد الوجود العثماني وحتى رجال الحكومة من كلا المدينتين، فبقيتا بدون سلطة تذكر فنهبت الأسواق وخربت دوائر الدولة بما فيها دائرة البريد والبرق، وسرقت الأعمدة الكهربائية وأسلاكها، وتجمد النشاط البلدي

(٥) كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث ١٨٦٠- ١٩٧٣، ج ١ (النجف: مط الغري الحديثة، ١٩٧٤) ص٢٦ص١٦ ص٢١٣.

(٦) عن موقعة الشعيبة ينظر: شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤- ١٩١٨ (بغداد: مط البرهان، ١٩٥٤)ص٢٦- ٢٧ ؛ هبة الدين الشهرستاني، معركة الشعيبة ١٩١٥ (إسرار الخيبة من فتح الشعيبة)، تحقيق وتعليق علاء حسين الرهيمي، إسماعيل طه الجابري (النجف: مط الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٨).

وساء الوضع الخدمي، وقام (عبد الرزاق شمسه)[1] رئيس المجلس البلدي في النجف بإنقاذ وضع المدينة الخدمي، فتوسط بين المنتفضين والحكومة العثمانية على إدارة المدينة، ووصل إلى الاتفاق على الحكم الاسمي للعثمانيين بالمقابل اعترافهم بسلطة المنتفضين، وحدد مدة ذلك الاتفاق لحين معرفة نتيجة الحرب العالمية، ولذا أعادت الحكومة العثمانية موظفيها لعملهم، وأوكلت حمايتهم إلى (عبد الرزاق شمسه) الذي وفر لهم الحماية والدعم وأسكنهم في داره ودور إل شمسه ومنها واصلوا عملهم الإداري بسبب تخريب أماكن عملهم من قبل المنتفضين[2]. ويبدو أن سوء الأوضاع البلدية هو الذي اجبر المنتفضين قبول هذا العرض خوفاً من ظهور نقمة ضدهم، بالمقابل كان العثمانيون لا يريدون خسارة مدينة النجف بسبب تأثيرها الروحي والخوف من إن تكون شرارة لانتفاضات أخرى.

ورغم ذلك ظهرت النقمة بين أهالي النجف. بسبب ازدياد الوضع الخدمي تدهوراً، والإداري الفاشل، بسبب ضعف القانون وهيبته، ولاسيما وقوع فتن بين المنتفضين حول الضرائب، وبخاصة بعدما أذيع من على المنابر - ويبدو أن تأثيره راجع إلى رجال الدين- بعد شهرين من الانتفاضة أمرت الحكومة بضرورة التنازل عن كل ضرائب المدينة إلى السلطة العثمانية، وامتثل المنتفضون وتنازلوا عن ضرائب (القصابية والدفنية وضرائب الخضروات) وهو تنازل شكلي ليس عن الضرائب كلها، الأمر الذي تبين للباحثين بُعد المسافة بين المنتفضين ورجال الدين. وبخاصة ظهور جملة من الظواهر الاجتماعية التي دلت على فشل المنتفضين في حكمهم الذاتي والاهتمام بالواقع البلدي، هذا الواقع الذي تدهور بسبب نزوح عشرات الأفراد من الأرياف المجاورة (الحيرة وأبو صخير والشامية والخرم - غماس- والمشخاب)وهذه الهجرة من الريف قد سببت ضغطاً في الخدمات، وساد العرف على القانون، وقُسمت المدينة إلى إحياء عشائرية تزعمها زعماء محليون على غرار السلطة الأبوية العشائرية، وسادت المدينة طباع غليظة فظة، بل إن أهالي النجف تأثروا بهم من لبسهم وطباعهم وسلوكهم، اذ ظهر حمَلة السلاح في الشوارع، ومبدأ قسمة الغنائم إذ قُسمت الضرائب على زعماء تلك المحلات التي انقسمت بدورها إلى أفخاذ وطوائف وجماعات وبيوتات في حصص على أساس التوزيع القبلي، ولم يظهر أي اهتمام بالواقع البلدي بل أهملت (مصلحة التنوير (الكهرباء) والنظافة والمياه والصحة) بل تحول الحكم الذاتي إلى واقع خدمي سئ ساده التخلف والفوضى وصفه المعاصر (الشيخ محمد رضا الشبيبي[3]) " بإمارة الفارين "[4].

دعم البريطانيون هذه الإمارة بمنح تجارها عشرات التوكيلات التجارية، والسماح لهم بمزاولة العمل التجاري، فكانوا ينحدرون ببضائعهم من البصرة إلى مدن وقرى العراق المنتفضة ضد السلطة العثمانية.[5] وكأنهم أرادوا ان يدعموا منتفضي النجف الهياج العام المعارض للعثمانيين في المدن الفراتيه[6]. إلا إن أمنهم فُقد في المناطق الواقعة بين النجف والكوفة وبين النجف والحيرة، بسبب حدوث مناوشات قتالية ضد بعض البدو والعشائر الريفية، وأخطرها بين المنتفضين وعشائر (بني حسنَ) حول استملاك جسر الكوفة - ويبدو انه صراع على الكوفة ومقدراتها - والدليل إن عشائر الكوفة قامت بعدما ضربت حارس الجسر وجرحه وطرده توغلت إلى داخل المدينة وقطعوا الطرق المارة من والى النجف وسيطروا على الجسر ومنه فرضوا (خاوه- وهي ضريبة غير قانونية يفرضها العصابات عند غياب السلطة واستئثارهم بها) على سفن نقل البضائع والسفن الناقلة للإفراد، وفرضوا نقاطاً تفتيشية، ووصل الأمر إلى اعتدائهم على أهل الكوفة معلنين أنها مُلك لهذه العشيرة - ويعني ذلك قطع شريان تجاري عن النجف- ولم يردعهم إلا المنتفضون من جماعة (عطية البو كلل)[7] -

(١) يرجع إلى عائلة نجفية عرفت بالثراء ويرجع نسبها إلى اليمن، وهو الحاج عبد الرزاق بن محمد سعيد بن حسن ال شمسه ولد عام ١٨٨٣، وعرفت عائلته بالعلاقة والمصالح مع الحكومات التي حكمت العراق، فكان بيته مستقبل للملوك والأمراء حتى من خارج العراق، وكانت عائلته من زعماء المجالس البلدية في مدينة النجف مثل الحاج سعيد الذي تولى رئاسة البلدية في عهد الوالي مدحت باشا، توفي عام ١٩٤٧. حيدر صالح المرجاني، النجف الأشرف قديما وحديثا، ج٢ (بغداد : مط دار السلام، ١٩٨٨)ص١٠٤.

(٢) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣ص١٤٥- ١٤٦.

(٣) ولد في مدينة النجف عام ١٨٨٤، ودرس على يد شيوخها وله منزلة علمية وأدبية، وله دور سياسي فضلا عن تأييده للحركات الدستوريةالايرانية والعثمانية، وكان سفير أهالي النجف السياسيين للحجاز لعرض مطالبهم الوطنية من شكل الحكومة والحاكم، توفي عام ١٩٦٥. سعيد مجيد زميزم، رجال العراق والاحتلال البريطاني، ج ١ (بغداد: مطبعة منين، ١٩٩٠) ص ٤١.

(٤) نقلا عن محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣ ص١٥٢

(٥) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣ ص٢٠٧

(٦) للمزيد عن إحداث الفرات الهائجة ينظر: عبد الله فهد ألنفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (بيروت : دار النهار، ١٩٧٣) ص ٩١ - ٩٢.

(٧) ولد في مدينة النجف عام ١٨٧٢ ويرجع نسبه إلى قبيلة طي الشامية الساكنين في النجف، وعرفت عائلته بالمشاركة في معارك الاقتتال بين الشمرت والزكرت فتعرضوا مراراً وتكراراً لأذى الحكومة من التشرد والسجن، لديه أربعة أولاد هم (تركي وكردي وعجمي وهندي) كان له دور في الإحداث السياسية التي مرت بالعراق. مجيد الموسوي، الحاج عطية ابو كلل الطائي (بغداد : مط السعدي، د. ت) ص١٩- ٢٢.

وهذا الأمر دل على إن عطية البو كال وجماعته القوة الضاربة للمنتفضين- الذين توجهوا بوساطة الترامواي، رغم تدمير سكته الحديدية من قبل إفراد من عشيرة (بني حَسن) ورغم ذلك وصلت جماعة أبو كال واشتبكوا مع العشيرة المذكورة في ٢٦ أب ١٩١٧ ودفعهم عن المدينة إلى بساتينهم وانتهى الأمر في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٧ بعقد اتفاق بين الطرفين، وهو صيانة الطرق وان تكون عائدية الجسر وموارده مقسومة على الطرفين مع موارد المدينة، وان تكون ملكية الجسر لكلا الطرفين، ووضع ممثلين عنهما لإدارته، وإذا حدثت مشكلة انتهت بقتال فيكون الحل احتساب قتيل بقتيل والزائد تحتسب له دية شرعية[١] يدفعها القاتل أو عشيرته[٢].

أعلن المنتفضون استقلال النجف والكوفة من التبعة العثمانية بعد احتلال البريطانيين بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ فطردوا ممثلي الحكومة العثمانية، ودخلوا مدينة النجف في نيسان ١٩١٧ ووضعوا أيديهم عليها فعينوا (حميد خان أسد خان)[٣] في ١ أب ١٩١٧ ممثلاً للحاكم السياسي في النجف ونفس المنصب للمسيحي (سركيس افندي)[٤] في ٢ حزيران ١٩١٧ في الكوفة، ودمروا محلة ألثلمه من محلات منطقة العمارة الواقعة في الجهة الغربية من المدينة بحجة تحسين الوضع البلدي وتخطيط أفضل للمدينة، عرفت بالثلمه لان سكانها استغلوا ثلمه تقع في السور للدخول إلى المدينة. ويبدو إن البريطانيين لديهم أهداف أخرى من عملهم يتعدى تحسين الوضع البلدي وهو كسر شوكة (عطية أبو كلل) لأنها منطقة نفوذه، بل عرفت المحلة بمحلة البو كلل[٥].

وكان أول اصطدام ضد البريطانيين في نهاية شهر تشرين الأول عام ١٩١٧ عندما أراد البريطانيون حشد المؤن لجيشهم المستمر في قتال العثمانيين شمال العراق، فأرسلوا قافلة من البدو تطلب تلك المؤن من (حميد أسد خان) ممثل الحاكم السياسي إلا أنّ شحة تلك المؤن دفعت أهالي النجف إلى رفض إعطائها، بل خرجوا في تظاهرة ضد أفراد القافلة من البدو، وضربهم وسلب أمتعتهم، وهذا الأمر دفع (النقيب بلفور Capt. Balfour) حاكم الشامية والنجف إلى الدخول لمدينة النجف في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧ وفرض على أهلها دفع تعويضات للبدو الذين تعرضوا للهجوم، وكان الرد الرفض بل ضربه ومحاولة قتله، وتطور الأمر إلى مهاجمة بناية الحكومة، ونهبها وطرد موظفيها، ووقعت نفس الإحداث في الكوفة، فكانت ردة فعل البريطانيون التهدئة حتى انتهاء الحرب[٦].

استخدم البريطانيون التهدئة مع أهالي النجف. وعليه تجاوزوا أمر الاضطرابات الأنفة الذكر بل زار (المقدم برسي كوكس Col. Percy Cox) ممثل الحاكم المدني مدينة النجف في ٤ كانون الأول ١٩١٧ وتجول في ربوعها - وهو دليل على أهمية المدينة وحساسية الحرب والتخوف من فتح جبهة داخلية- إلا أن مجرى الأمور تغير بعد ضرب مجموعة من الخيالة الهندية بطلق ناري قادم من سور المدينة في ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ من جهة منطقة العمارة فحلقت طائرة فوق المدينة فرد عليها شبان ينتمون إلى تنظيم (جمعية النهضة الإسلامية)[٧] بإطلاق النار، وتطور الأمر إلى حدوث اضطرابات ونهب مقر الحكومة وفرار ممثلها (حميد أسد خان) إلى الكوفة،

(١) الدية الشرعية عبارة عن مبلغ من المال يفرض على القاتل وأهله وحتى عشيرته. جراء قتلهم نفس محرمة وهذا المبلغ يقرره الحاكم الشرعي في رسالته العملية في زمانها، وهي من أنوع القصاص الشرعي يستنبطه الحاكم الشرعي من قوله تعالى : { يا أيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه من شئ فإتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم } سورة البقرة أية ١٧٨. للمزيد من التفاصيل عن الإحكام الشرعية في الدية الشرعية وشروطها ينظر : محمد تقي الحسيني، إحكام المعاملات، ج٢ (بيروت: دار كميل، ٢٠٠٥) ص٤٧- ٤٩.

(٢) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٩ ص١٨٥ ص١٩١؛كامل سلمان الجبوري، ج١، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٣) ولد في مدينة النجف عام ١٨٩٠ وأكمل دراسته في بغداد الرسمية عام ١٩٠٣ ثم سافر إلى الهند مع أخيه احمد خان لتحصيل العلوم في مدينة مومباي فسكن عند عمته أغا خان الثالث، وفي عام ١٩١١ رجع الى بغداد وهو متحصن بالعلم والمعرفة ومنها اللغة الانكليزية فضلا عن معرفته باللغات الأخرى وهي الفارسية والاوردية، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى اختار النجف للسكن، وبسبب علومه اختاره البريطانيون معاون للحاكم الشامية والنجف وعين متصرف للواء كربلاء عام ١٩٢١، واختير عام ١٩٤٣ نائب عن كربلاء وفي نفس العام توفي في بغداد. مصطفى اسدخان، سيرة إل أسد خان (بغداد: مط المعارف، ١٩٦٧) ص٤٩- ٤٠.

(٤) سركيس أفندي وهو مسيحي ارمني من أهالي بغداد ويبدو انه كان يشغل وظيفة في الحكومة العثمانية لاقتران اسمه بلقب أفندي اختير معاون للحاكم السياسي للشامية والنجف في مدينة الكوفة.

(٥) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج١ ص٢٥٨.

(٦) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٢- ٣.

(٧) هو تنظيم سياسي مشكل من مجموعة من رجال الدين في مدينة النجف الأشرف ١٩١٧ لغرض مواجهة الاحتلال لبريطاني في العراق وهو اول حركة سياسية ثورية في العراق ولها فروع في بغداد والبصرة فضلا عن منهاج سياسي وهو استقلال العراق واحترام سيادته ومناهضة إشكال الاستعمار، ولها منشور تحت توقيع أسم (فتى الإسلام) أو تحت الختم التعريفي للجمعية ومن اعضأها السيد (محمد علي بحر العلوم)والشيوخ الأخوين (عبد الكريم الجزائري ومحمد الجواد الجزائري) وابزر نشاط هو (انتفاضة النجف١٩١٨). محسن محمد محسن، محمد الجواد الجزائري، مؤسس النهضة الاسلامية في العراق، حياته وأثاره (بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٢)ص٧٢.

وهذه التطورات دفعت بالحكومة البريطانية الى تعيين حاكم جديد للنجف في ١ شباط ١٩١٨ وهو الضابط (النقيب مارشال Capt. Marshall) الذي نزل بقواته في (خان عطية أبو كلل) واتخذه مقراً حكومياً، ويقع خارج سور المدينة، وشكل قوة من الشرطة معظمهم من أكراد كرمنشاه الساكنين في مدينتي الكوت وبغداد، ولم يلبث طويلا إذ قتل من قبل تنظيم (جمعية النهضة الإسلامية) في ١٩ آذار ١٩١٨ دخلت المدينة على أثرها في انتفاضة رافضة للهيمنة البريطانية[١] أدت إلى وقوع أهلها في تبعات لا يُحسد عليها. اذ فرض البريطانيون حصاراً لمدة خمسة وأربعين يوماً فغلقت أبواب المدينة، وقطع الماء عنها، حتى وصل الأمر إلى خزن قطرات المطر، وارتفعت الأسعار، وساء الوضع البلدي بعد محاصرة المدينة وزائريها[٢]

وصف أحد المعاصرين معاناة الحصار وهو (محمد أمين الأمامي الخوئي)[٣] بالكتابة : ".. كان حال البلدة في غاية الضيق والاضطراب، فأمور البلدة غدت متدهورة تماماً، ومتروكة، فلا الحكومة قدمت ضمانات ولا العرب أقدموا على شئ، فلم يكن هنالك مجير على الإطلاق، واللص يحتاج الى سوق مضطرب، وكان بإمكان كل ما يريد إن يفعل ما يشاء ما دام قادراً عليه، فليس هنالك ما يمنعه، ثم إن الوضع المعاشي من حيث المؤونة والأرزاق كان قد أصبح في غاية الضيق، فاغلب السلع غير موجودة اصلاً كاللحم والسمن وغيرها، فضلاً عن السلع التي لم يكن يعثر عليها على مثقال أو حبة منها في المدينة بأكملها كاللبن والجبن والخضروات بأسرها، وغير ذلك إما الخبز فرغم وجوده إلى حد ما لكنه بحكم العدم، ذلك إن الحصول عليه كان في غاية الصعوبة، وكان الوضع عسيراً إلى الحد الذي كان فيه حتى الأغنياء لا يحصلون على ما يسد رمقهم "[٤].

لم يتأثر أهالي مدينة الكوفة بأحداث النجف. بسبب السيطرة البريطانية من ثكنة عسكرية بمنطقة (السهلة وشريعة أم التبن) فكانت مقراً للإدارة البريطانية[٥]. إما سبب دمج إدارة النجف والكوفة بمقاطعة الشامية راجع إلى تأثير مدينة النجف الروحي على عشائر الشامية[٦] وبالتالي سهولة السيطرة على منطقة الفرات الأوسط بشكل عام. وترسيخ أعلى مستوى من الحكم المباشر على منطقة الشامية وعشائرها باستبدال التحالف بين القبائل بالولاء للحكومة البريطانية من جهة، وفتح مدينة النجف وكسر تحفظها بوساطة التحسينات البلدية والاتصالات الحديثة ودمجها مع العشائر لكي تنسجم مع واقع العراق ومدنه من جهة أخرى[٧].

قَسَم البريطانيون العراق بعد إكمال احتلاله إلى خمسة عشر مقاطعة ترأس الواحدة منها ضابط عسكري بمنصب (حاكم سياسي political officer) والمقاطعة الواحدة بدورها قُسمت الى مناطق وبلغ عددها أربعين منطقة ترأس الواحدة منها ضابط عسكري بمنصب (مساعد الحاكم السياسي Assistant political officer) ففي مقاطعة الشامية والنجف منها منطقتا النجف والكوفة فمنطقة النجف تضم المدينة المسورة دون سواها إما الكوفة فتُقسم الى شعب هي هور الدخن وابو صخير الذي ضمت المشخاب على نهر المشخاب، والإداريون لمنصب الحاكم السياسي لمقاطعة الشامية والنجف هم (النقيب بلفور Capt. Balfour) للمدة من ١ تشرين الأول ١٩١٧ وحتى ٦ حزيران ١٩١٨ و (النقيب وينكت Capt. Wingate) من ٦ حزيران ١٩١٨ وحتى أيلول ١٩١٨ و (الرائد موربري Maj. Moberly) من أيلول ١٩١٨ وحتى ٣٠ حزيران ١٩٢٠، إما منصب مساعد الحاكم السياسي في النجف هم ((النقيب مارشال Capt. Marshall)) من ١ شباط ١٩١٨ وحتى ١٩آذار ١٩١٨ ثم (كرين هاووس (النقيب كرين هاوس Capt. Green Houss) من ٣ أيار ١٩١٨ حتى أيلول ١٩١٨[٨].

كان من مهام هذه النخب الإدارية رفع تقارير شهرية وحتى أسبوعية عن أحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم

---

(١) من الصعب وصف انتفاضة النجف بالثورة لأنها لم تخرج عن نطاق المدينة من جهة ولم تكن بتأييد من كافة الاهالي المدينة. ينظر عن ردة فعل أهالي النجف وأفعال المنتفضين. محمد أمين الأمامي الخوئي، مذكرات شاهد عيان (ثورة النجف) ت: بشرى ضياء مشكور، تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبوري (النجف : دار المؤرخ العربي. وعن انتفاضة النجف ينظر : كامل سلمان الجبوري، ثورة النجف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨ (حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل) (بيروت : دار القارئ والمواهب، ٢٠٠٥)

(٢) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٠ ص٢٢ ص٥١- ٥٢.

(٣) هو محمد أمين الأمامي الخوئي ألنجفي الرازي الاسدي ألمظاهري ألرياحي من خدمة العلم والأدب ولد عام ١٨٨٥ في مدينة النجف ولقب بالخوئي بسبب انتساب أهله إلى بلدة خوي في إيران، درس العلوم في النجف وإيران، ومن شيوخه (الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ فتح الله الأصفهاني) وله عشرات المؤلفات منها (مرآة الشرق والخيارات وكشف الالتباس عن حكم المشكوك من اللباس) محمد أمين الأمامي الخوئي، مذكرات شاهد عيان (ثورة النجف) ت: بشرى ضياء مشكور، تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبوري (النجف : دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٩) ص٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٥) كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٩- ٢٣١.

(٦) عن الشامية وعشائرها ينظر بان راوي شلتاغ، الشامية في سنوات الحكم البريطاني ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير، كلية التربية تجامعة القادسية، ٢٠٠٥، ص ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ص١٥٠- ١٥٢

وعلاقتهم بالإدارة البريطانية وانطباعهم عنها، أرُسلت إلى مكتب (إدارة الحاكم المدني ببغداد) وفيها يتولاها الموظفون من حيث الدراسة والتمحيص وتبويبها في تقرير سنوي يرفع الى لندن، ويُعتمد على أساس معلوماته في وضع الإجراءات المناسبة وحسب الأهمية، ولذا فأن هذه التقارير تعد وسيلة رقابية إجرائية مهمة لأنها رسمت خارطة الإدارة البريطانية في وضع الترتيبات الإدارية والعسكرية في العراق. والتقرير الذي وقع بيد الباحثين هو التقرير السنوي الصادر من مكتب (إدارة الحاكم المدني العام في بغداد) وفيه دراسة مفصلة عن الأوضاع العامة بما فيها البلدية في النجف والكوفة والشامية - بشرقها وغربها - وابو صخير والجعارة والمشخاب وغماس، وبيان طبقة رجال الدين وميولهم وتأثيرهم، ووضح هذا التقرير الشرطة القبلية (الشبانة) من تشكيله إلى وظائفه، والترتيبات الإدارية الجديدة المقترحة. وتم دراسة الأوضاع البلدية لمدينتي النجف والكوفة وتحليلها في هذا التقرير. ومن الجدير بالذكر وجود عدد من الصفحات عن البلديات الأخرى المجاورة لمدينتي النجف والكوفة وهي (الجعارة وابو صخير وام البعرور وغماس). وبينت الأوضاع البلدية في هذه المناطق دور الإدارة البريطانية في ضرورة الاهتمام والدعم لهذه البلديات، لاعتقاد هذه الإدارة بأنها مناطق قابلة للازدياد في الكثافة السكانية وفق وجهة نظر تلك الإدارة، إذ وصل عدد سكان النجف وفق هذه الوثائق إلى خمسة وأربعين إلف نسمة والكوفة سبعة الإلف، ولذا حذرت إدارة الحاكم المدني العام في حال عدم الاهتمام الكافي بالأوضاع البلدية لهاتين المدينتين فهذا يعني ظهور صعوبات في إدارتهما[١].

وأكدت إن بلديتي النجف والكوفة وحدتين مستقلتين في عملهما ونشاطهما، وهذا الأمر التقى مع سياسة الإدارة البريطانية التي شجعت المؤسسات البلدية على الاستقلال، والتمويل الذاتي، والتقدم في طريق واحد يتفق مع سياسة البلدية الجيدة التي تنشد التطور والتقدم في هاتين المدينتين والعراق بشكل عام بغية تحقيق فائدة اكبر للناس ومعرفتهم فوائد الإدارة الجيدة[٢]. لان هذا التعاون من شأنه إن يسهل إدارة المدن العراقية[٣].

ودل هذا الأمر على محاولة الإدارة البريطانية في تحسين صورتها في أعين العراقيين وبخاصة إن هاتين المدينتين هما من البقاع المقدسة في العالم الإسلامي.

(١) Office of the Civil Commissioner , Baghdad , Najaf – Kufah – Shamiyah , Syed Abd Allah Bin Syed Abdul Zahrah , ١٩١٨ ,p٨٤.

(٢) Ibid, p٨٤.

(٣) هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ت: عبد المسيح جويده، ط٢ (بغداد : مط السريان، ١٩٤٥) ص٣٨١- ٣٨٢.

فالإدارة البريطانية توقعت لهاتين المدينتين الازدهار في المستقبل من خلال ما كُتب في التقرير: " يكمن ازدهار مستقبل النجف في أنها منطقة مفتوحة تماما وفي كونها ذات مورد مالي جيد وكذلك في تطور اتصالها مع العالم الخارجي إما بالنسبة إلى الكوفة فيمكن ازدهار مستقبلها في كونها مدينة ذات تخطيط دقيق ومتقن وفي منع التوسع غير المسيطر عليه "[٤].

المبحث الأول

الأوضاع البلدية في مدينتي النجف والكوفة ١٩١٨

رأت الإدارة البريطانية بضرورة تقديم مساعدة لبلدية النجف المتخلفة والمتأخرة حتى عن بلدية الكوفة، لكلفة وصعوبة الأعمال البلدية والمتعبة لأنها مدينة دينية تحتاج إلى خدمات مستمرة، ولذا فمشكلة الأوضاع الصحية والبيئية سيئة لأنها مدينة وافدين سواء كان للزيارة أو الدراسة أو الدفن، أما بلدية الكوفة فجيده لان أهالي الكوفة أدركوا روح التعاون مع بلديتهم وعرفوا إن ثمرة تعاونهم سيعود عليهم، فقاموا بإعمال التحسينات والنظافة، ولذا ارتفعت قيمة الأملاك من منازل مدينة الكوفة إلى خمسة إضعاف، فضلا عن توسع التجارة حتى سميت " الميناء الأكبر" بل كانت هناك طلبات كثيرة من خارج مدينة الكوفة للبناء والسكن، وفرضت بلدية الكوفة ضريبتين هما : -

أولا: الخزن : وهي ضريبة تفرض على البضائع المخزونة القابعة على الأرصفة النهرية بمقدار (عانة)[٥] على كل (بالة)[٦].

ثانياً: رسو: وهي ضريبة تفرض على السفن الراسية على ضفة نهر الكوفة ومقدارها نصف عانة لكل طن، وبررت بلدية الكوفة فرض تلك الضرائب بداعي إنشاء وإصلاح وصياغة جدران الأرصفة النهرية[٧].

كانت الإدارة البريطانية تخشى من هاتين المدينتين اللتين وصفتهما بالعنيفتين، ووصفت الفرد من أهالي النجف بالمتبجح

(٤) British Quoted from Report ,O. P Cit. ,p٨٤

(٥) عملة العانة هي نقود معدنية من النحاس يقال لها (البيزة)و (الباي) اما الروبية فهي عملة هندية ظهرت في العراق قبل مجئ البريطانيون، بسبب المعاملات التجارية، ولكن بعد الاحتلال شاع استخدامه، و اختزلت في فئات ورقية من خمسة روبيات وايضاً عشرة روبيات وخمسون ومائة. عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية ١٢٥٨- ١٩١٧ (بغداد: طبع شركة التجارة والطباعة، ١٩٥٨) ص١٧٩- ١٨٠.

(٦) البالة هي حزمة من المنسوجات الضخمة والمحكمة اللف والربط ومرجعها اللغوي ايطاليا وعربت إلى الابالة والبالة. المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٦ (بيروت : دار المشرق، د. ت) ص٢٥.

(٧) British Report ,O. P Cit. ,p٨٤

والمتحدي لكرامة البريطانيين وشجاعتهم، ولأجل تغيير ذلك فأن هذه الإدارة ترى بضرورة : " ان تكون- الإدارة البريطانية - بانية الأمجاد في عيون كل الشيعة المحمدية أو لتقضّ مضاجع من يعمل ضدها فأن هذا يعتمد وبشكل كامل على إدراكنا المبكر لقوتها وحجمها كمدينة " بل ذكر التقرير مفهوم فقهي وهو أي حكومة هي غير شرعية لأنها غير قادرة على تأويل وتطبيق قوانيين الله[1] وهو اعتراف بأهمية هاتين المدينتين وتأثيرهما في العراق، ومساعي الإدارة البريطانية في تحسين أوضاعهما البلدية لتحقيق تلك الأمجاد.

بل ذهب التقرير إلى ابعد من ذلك عندما أكد إن احد أسباب فشل العثمانيين في إدارة العراق هو تجاهلهم إدارة مدينة النجف، رغم معرفتهم بأهمية هذه المدينة وتأثيرها، وجعلوا منها مدينة ثائرة وقوية، وبالتالي خسروا العراق دون إن يشعروا[2]. ولذا فالإدارة البريطانية مدركة ومتخوفة عند مُلاحظة هذا التقرير.

وهذا الإدراك ربطته الإدارة البريطانية في النجف بالواقع البلدي الجيد والمدعوم. فذكر التقرير بأنها مركز ديني مهم للزيارة قابل للزيادة، وبخاصة مع فتح نهر الفرات للملاحة وتطوير خطوط السكك الحديدية، وإنها واحدة من الأسواق التجارية المهمة اذ تقع عند التقاء خطوط المواصلات التجارية، والتمتع بأسواق وصفت بالكبيرة ترتادها القوافل التجارية القادمة من الصحراء وتعود بالرز والأقمشة، إذ يقوم رجال البدو بمقايضة الحرير وأقمشة القطن الملونة القادمة من (حمص وحماة) بالحبوب والماشية والبضائع القادمة من البصرة وبومباي، فضلا عن دور ضريح (الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام-) في جذب الناس للسكن والتعلم. وإرادة تجار النجف في إعادة الحياة التجارية للمدينة بعد تعطلها مدة الحرب، وبخاصة بعد افتتاح خط النقل التجاري من النجف إلى حائل ودمشق من جديد بعد انقطاعه زمن الحرب[3].

عرف أهالي النجف ثمرات تعاونهم مع الإدارة البريطانية في تنمية القطاع التجاري وزيادة أعمالهم التجارية، وحتى أهل الكوفة أدركوا ذلك التعاون عندما أدركوا إن قيمة ملكيات منازلهم قد ارتفعت وازدياد في الهجرة إلى مدينتهم ليس من مناطق نهر الفرات فحسب بل وحتى من مناطق نهر دجلة - الكوت والعمارة - وبخاصة مع اكتمال خط أنابيب بين الكوفة والنجف، وأوضح التقرير إلى اتصال المدينتين بخط من المنازل في تلك المدة وتوضح بأن هذا الخط السكني بحماسة

(١) p٨٧. Ibid, p٨٤

(٢) Ibid, p٨٤

(٣) .Ibid, p٨٥

أهالي مدينة النجف ومرجعهم اليزدي - السيد محمد كاظم اليزدي -[4] والذي تحول إلى خط ذي قيمة عالية حتى وإذا كان خارج المدينتين، لأنه وفر حاجيات الفرد من مستلزمات العيش[5]. من الواضح إن تلك المستلزمات هي الزراعية البسيطة وتربية المواشي التي زودت مدينة النجف ببعض من متطلبتها الغذائية[6].

وصف التقرير السنوي الأوضاع البلدية في مدينة النجف وشوارعها بالقديمة. فكانت مهملة وضيقة وبيوت كلاسيكية - قديمة - وكانت متشابهة، والمباني تشيد على أسس غير أمنة، وسراديب آيلة للسقوط، والمدينة مليئة بالحفر ومجاري تصريف المياه طافحة أسنة، وهذا الوصف يثير علامة تعجب عندما وصفت مدينة النجف بالاسفنجة بالكتابة : " هذه الاسفنجة الكبيرة الرطبة تماماً بسائل كثيف من المرض غير النشط محاطة بسور بني قبل مائة وعشرين عاماً[7] وكون إن المدينة لم يتطرق إليها أي مرض فتاك حتى ألان قضية تدعو للعجب والتي كانت تفسر بتصريحات قوية بان الخلو من الإمراض في تلك الحقبة دائما ما تتمتع به المدن المزدحمة والمسورة بهذا الشكل "[8] ولذا يبدوا على الرغم من تمتع هذه

(٤) ولد في مدينة (يزد)عام١٨٢٠، قرأ مقدماته العلمية فيها ثم هاجر إلى أصفهان لإكمال تحصيله، ومنها هاجر إلى النجف عام ١٨٦٤م، ودرس فيها ومن شيوخه السيد (محمد حسن الشيرازيّ) حتى حصوله على درجة الاجتهاد، ثم ما لبث ان نال شهرة واسعة، وعقدت له الزعامة الدينية أواخر حياته، توفي في النجف، أشهر مؤلفاته (العروة الوثقى) جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف (المراجع) ج١١ (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٨)، ص١٩٢.

(٥) British Report ,O. P Cit. ,p٨٤p٨٥

(٦) للمزيد من التفاصيل عن المنتجات الزراعية وأنواع المواشي التي زودت مدينة النجف ببعض من متطلبتها الغذائية ينظر : محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥) ص١١٨.

(٧) كان أول سور بني بمشهد (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) عام ١٠٠٩ بأشراف أبو إسحاق الارجاني، إما الثاني فتم بناءه بعد زيارة الشاه عباس ألصفوي عام ١٦٢٣ مع خندق من المياه وبني العثمانيون عام ١٢٠٣ لكنه منخفض لم يرد هجمات الوهابين فكتب رجال الدين إلى المحسنين في إيران وحكومتها فلبى الصدر الأعظم نظام الدولة الحاج محمد حسين خان العلاف الأصفهاني وهو وزير فتح علي القاجاري وكان سوراً حصيناً فشيد أركانه وحفر خلفه خندق من الماء وأقام فيه أبراج كمراصد ومخافر وكان في عام ١٨٠٨ إما السور السادس والأخير فشيد عام ١٨١١ لرد هجمات الإعراب من الوهابية. محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٢ ص٢٨٨ ص٢٢٦ ص٣٩٧؛جعفر باقر محبوبة، المصدر السابق، ص٢١٢.

(٨) British Quoted from Report ٨٦. ,O. P Cit. ,p

المدينة بوضع تجاري جيد إلا أنّ أوضاعها البلدية متردية لا تتناسب مع أهميتها كمدينة مقدسة وجامعة دينية.

ووصف سكان النجف بأنهم يسكنون في بيوت تحتوي الواحدة منها على قبو- سرداب - بعمق مائة قدم وبعضها يحوي على قبر أو اثنين، إما معيشتهم فهي من إعمالهم الدينية الاحترافية الخدمية لزائري المدينة[١] أو ما يدفع لهم من حقوق شرعية التي تقع في ثلاثة محاور : -

أولا: توزيع الماء (السقاية).

ثانيا: الإنارة.

ثالثا: توزيع مساعدات الفقراء.

وهذه الأموال تؤخذ من الحقوق الشرعية التي دفعها الشيعة في العالم إلى المرجعية الدينية في النجف أو من داخل أملاك الوقف بصفتها وقفاً، والتي تدار من قبل وسيط فحقوق توزيع الماء التي تدفع للناس لشراء الماء[٢] ومساعدات الفقراء من نقود وطعام وملابس تدفع إلى المجتهدين وحاشيتهم من أهل الورع والتقوى، إما حقوق الإنارة فهي أموال خاصة بإنارة ضريح (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) تعطى كأمانة (للكليدار)[٣]والتي قدرها التقرير في عام ١٩١٨ بعشرة الإلف جنية إسترليني ترسل سنويا الى النجف لإنارة الضريح لوحده دون المناطق الأخرى من المدينة[٤].

ووصف التقرير مقبرة النجف بالواسعة[٥] وذكر فيها قراء يتلون القرآن الكريم، ويرتبون الإنارة في بعض القبور، وكان يصل عددهم إلى ألفي قارئ يوم الخميس لأنه يوم الزيارة فيعد مكسباً مهماً للقراء، واغلبهم من طلبة العلوم الدينية أو أولئك الطلبة التاركين لطريق العلم، وسئموا من المحاضرات العلمية ووصلوا إلى استنتاج إن طريق المعرفة والحياة الدينية الفاضلة اقل فائدة من وظيفة القراءة في المقابر، على الرغم من ان الأجور قليلة ولكن من الممكن إن القارئ الواحد يستطيع العناية بقبور ثلاثة مقابل أجرة تقدر خمسة روبيات شهرياً فضلاً عن إن هذا القارئ هو ضمن قائمة الفقراء الذين يحصلون على حصة من الحقوق الشرعية من قبل المرجعية الدينية[٦].

وذهب التقرير إلى تفاصيل الوضع المالي وذكر إن الحقوق الشرعية (سقاية الماء) هو حق غير واجب مطلق وإنما مستحب، ورغم ذلك وصل المبلغ إلى ستة الإلف جنيه إسترليني ١٩١٨وهو مبلغ ذو أهمية عالية لكنه لم يستثمر بالشكل الصحيح، فأن القسم الأكبر من هذه الأموال الشرعية أنفقت على مر العصور على جهود فاشلة في تأمين الماء لأهالي مدينة النجف، إما الحق الشرعي (مساعدة الفقراء) فهي واجبة على كل الشيعة ويمكن إن تقسم إلى ما يلي : -

أولا: الخمس أو الجزء الخامس من الدخل وهو استحقاق للعلويين.

ثانيا: الزكاة والعشر تدفع لجميع الفقراء[٧].

ثالثا: رد المظالم وهي رواتب الحكومة التي جمعت بوساطة الضرائب بقوة القانون وهي عند الشيعة حرام[٨].

وهذه الحقوق هي بمثابة شراء غفران خاص من المجتهد الذي تعامل بها كأجر عمل دون التجاوز على الأحكام الشرعية - ويبدو إن الإدارة البريطانية ظنت أن عمل مجتهدي النجف مثل عمل رجال الدين المسيح في بيع صكوك الغفران، وهو اعتقاد في غير محله وخاطئ -[٩] وأشار التقرير إلى وجود نوع أخر من الحقوق التي تأخذ شكل التبرع والتي تسلم إلى رجال الدين الكبار وهي: -

---

(١) عن تلك الإعمال ينظر ما كتبه المستشرقون الذين زاروا مدينة النجف وهم (تاكسيرا وتافيرنيه ونيبور ولوفتس وريتشارد كوك وجون بيترز ورونالد ستورز) للمزيد من التفاصيل عن تلك الزيارات ينظر: جعفر الدجيلي، المصدر السابق، ج٤.

(٢) عن مشكلة الماء في مدينة النجف ينظر : جعفر باقر محبوبة، المصدر السابق، ١٨٣- ٢٠٨.

(٣) ويقصد بها كر دار ومعناها البناء والأشجار، والكبس اذ كبسه من تراب نقله من مكان إلى أخر وزرع او بناء على الأرض، أو أنها قادمة من كار ومعناه العمل وحرفة ومهنة. محمد التونخي، معجم المعربات الفارسية، مراجعة د. محمد السباعي، ط٢ (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٩٨)ص١٥١ ص١٥٣.

(٤) British Report ,O. P Cit. , p٨٦

(٥) كانت مقبرة مدينة النجف شاملة وواسعة، فبالإضافة إلى وجود قبور لعامة الناس يوجد فيها مقابر الخاصة فالغرف السفلى للصحن الحيدري الشريف حافلة بقبور لبعض العائلات الملكية كشاهات إيران، وأمراء الهند، وعائلات سورية وغيرها، حتى أنها اعتبرت ثاني مقبرة عالمية بعد مقبرة الفاتيكان. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، النجف الأشرف وحركة التيار الاصلاحي (بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥) ص٢١.

(٦) British Report ,O. P Cit. ,p٨٧

(٧) Ibid,p٨٧.

(٨) Ibid,p٨٧

(٩) عن صكوك الغفران هربرت فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) ت: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع (مصر : دار المعارف، ١٩٦٤)ص١٨.

أولا: أجور قضاء الصلاة والصوم بالنيابة عن شخص ما.

ثانيا: المال المقدم للمرجع لعلاجه من المرض أو حمايته من الخطر.

ثالثا: حصة الإمام أو المال المستلم للتمهيد لظهور المهدي الموعود. ولذا فقد أشار التقرير إلى حجم أموال الحقوق الشرعية للمرجع الديني (السيد محمد كاظم اليزدي) في عام ١٩١٨ بأنها بلغت مائة وعشرون إلف روبية، بل ذهبت إلى تفصيل أخر هو دعم الأوقاف الشيعية في بلاد فارس - كالإنفاق على صيانة العتبات المقدسة في العراق والمدن الحاضنة لتلك المراقد - فضلا عن دعم الإدارة المالية في مدينة النجف، ليصل مبلغ دعمهما في عام ١٩١٨ مليون إسترليني[١].

شكلت هذه المبالغ مصدر قلق و إزعاج لدى البريطانيين، ولذا رفضوا اتجاه تلك المبالغ، ومحاولة توجيهها نحو مسالك أخرى، كدعم الوضع البلدي، فذكرت وثيقة : " من الضروري نشر الثقافة في بلاد فارس والعراق في السنوات القادمة قد يشجع المحسنين ليهتموا بالواجهات النهائية لصدقاتهم ودفعهم لتبني فكرة إن دعم الكليات والمستشفيات أكثر أهمية من الإنفاق العشوائي على المتسولين ومدعي الفقر رغم إن هذا التغيير في مسار الحقوق الشرعية قد يبدو انحرافا ماليا من وجهة النظر المحلية لكن المعرفة الواضحة لمعتقدات الناس ضرورية لا ريب لتأمين نظام ضريبي ناجح وسلس يكون فاعلا لكل مشكلة قد تظهر بشكل غير متوقع في النجف "[٢] ويبدو إن رغبة البريطانيين تعدت توجيه تلك الأموال إلى الأمور الخدمية إلى الرغبة الجادة في تحويل تلك الأموال إلى جيوبهم بوساطة الضرائب فضلا عن إن تحسين الوضع الخدمي من نظافة وصحة هو بدون شك ضروري ولكنه مفيد للسياسيين بشكل اكبر لأنها أعمال ظاهرة تستثمر في كسب مشاعر العامة في أنهم إداريون ناجحون، فضلا عن سحب البساط من تحت إقدام رجال الدين في هذه المدينة عن طريق تحجيم الوضع المالي وتوجيهه في اتجاه يخدم سلطة المدينة الجديدة. والدليل على ذلك ما كتبه التقرير : " افتقار مدينة النجف إلى رجال قادرين على قيادتها وإدارة شؤونها "[٣].

أشارت الصفحة السابعة والثمانون من التقرير إلى ظاهرة اجتماعية تميزت بها مدينة النجف وهي التسامح الرافض لكل إثارة تؤجج الفتن سيما الاثارات في المناسبات الدينية[٤] ورغم عدم ذكر نوع الاثارات إلا أنها تبدو مشاكل أنانية لبعض الأفراد في المواكب الدينية في صراعهم على الأماكن أو السبق في الدخول إلى الصحن الحيدري الشريف، وهي انفعالات فردية خارجة عن الدين وأهله، وذلك الربط بين تلك الاثارات ورزقهم غير موفق لان مدينة النجف مدينة التسامح الممتد من فكر (الإمام علي بن أبي طالب)[٥].

وأشار التقرير إلى نظرة أهالي النجف إلى التاجر في مدينتهم. وهي الجشع والبخل، والمراوغ في إخبار العامة أن البضائع المسعرة حكومياً شراؤها حرام بتلك الأسعار. وعرج التقرير إلى رجل الدين في هذه المدينة بتوصيفه بالقادر على تأويل القران الكريم ومفرداته وأحاديث الرسول الكريم وأهل بيته الأطهار، وهي قدرة مستمدة من الدراسة الطويلة وغير محددة بوقت في الكلية - الحوزة الدينية -[٦] التي توفر السكن لعدد يصل خمسمائة طالب واغلبهم قادمون من بلاد فارس وأعمارهم ما بين عشرين إلى ستين سنة، ويخصص لبعضهم معاشات لإعالتهم وهي أموال مستمدة من الحقوق الشرعية ولا تشترط في إعطائها للطالب المستمر في دراسته، وإذا وصل إلى مرحلة الدرجة العليا وهي الاجتهاد بتصريح من احد المجتهدين عندها يخوله في تأويل العلوم الدينية وان فشل في الوصول إلى هذه الدرجة فسوف يسعى لاستغلال كل فرصة من رجال الدين في المدينة للحصول على كلمات تزكية تكفل بأنه شخص جيد ومناسب بغية استلام الحقوق الشرعية ليعيش بها، أو إعطاءه صلاحيات بسيطة، وهي البت في القضايا الدينية الثانوية غير الأساسية، إما سبب إخفاقه في تحصيل تلك الدرجة ترجع إلى اتساع العلوم الدينية التي يدرسها والمعقدة[٧].

وذكر التقرير مظاهر اجتماعية ظهرت في مدينة النجف انبثقت من تداعيات الحرب العالمية تمثلت في تخوف تجار النجف ومعظمهم من الفرس المحترفين والمقتدرين من تبعات هذه الحرب التي أجبرتهم على ترك إعمالهم - إحداث ١٩١٥-

(١) British Report ,O. P Cit. ,p٨٧

(٢) Quoted from Ibid,O. P Cit. ,p٨٧. ,

(٣) Quoted from Ibid,O. P Cit. ,p٨٧. ,

(٤) Ibid,p٨٧.

(٥) للمزيد من التفاصيل عن التسامح عند الشيعة ينظر : فؤاد جابر كاظم، جذور فكرة التسامح والنزعة الإنسانية في الفكر الشيعي (قم: مط عترت، ٢٠٠٨).

(٦) هي بمثابة جامعة للعلوم الدينية وفيها يلتحق طلبة الشيعة من شتى إنحاء العالم للدراسة والتعلم، وتعمل بالنظام المتوارث عن الدراسة الإسلامية القديمة (الحلقات) عندما يتحلق الطلبة حول أساتذتهم، ولا يجبرون على دراسة مناهج محددة او نظام دراسي معين أو مدة زمنية مفروضة بل تعتمد على دراسة حرة تأهل الدارس الى مرتبة الاجتهاد. علي احمد البهادلي، المصدر السابق، ص١٢٠ ص١٣١-١٣٣.

(٧) British Report ,O. P Cit. ,p٨٧

١٩١٨ -[١] وحلول التجار العرب الصغار البسطاء الذين اساؤوا للعمل التجاري وشوهوا الواقع التجاري الاقتصادي لمدينة النجف لأنهم ادخلوا الغش في عملهم وكانوا اشد جشعاً بل أحدثوا ضرراً كبيراً بسبب ممارستهم البارعة في سعيهم لرفع أسعار الطعام والضروريات "[٢] والرد على هذا الأمر إلى إن الواقع التجاري تضرر بفعل الحرب فمن الطبيعي ارتفاع الأسعار وظهور بضائع بديلة ذات جودة واطئة. لذا اقترحت الإدارة البريطانية إلى علاج هذه الظاهرة بخلق ظروف طبيعية مناسبة لتحييدهم وعزلهم- التجار العرب- والقضاء عليهم ![٣] وقصد بذلك إلى إعادة النسيج التجاري السابق الذي يقوده التجار الفرس المحترفون.

أما بالنسبة لمدينة الكوفة فالأمر مختلف لأنها بمثابة ضاحية لمدينة النجف ومعظمها مملوكة لأثرياء النجف، ولكنها بقت مدينة ذات تاريخ لأنها كانت قاعدة لجيوش المسلمين في حروب نشر الدعوة الإسلامية، وأصبحت عاصمة للمسلمين، ولها مد حضاري تمثل في الحيرة[٤] العاصمة الفارسية لكلدايا، وإمام هذا التاريخ والمد الحضاري يقابله في مدينة النجف وجود ضريح (الإمام علي (عليه السلام)) وأشار التقرير الى إمكانية إن تكون مدينة الكوفة جديدة ومتعافية ومتمدنة بصفتها واحدة من المدن الواقعة على ضفاف نهر الفرات، وإرجاع أمجادها التاريخية الحضارية، وذكر التقرير إلى إن هذا الأمر مرهون بالمستقبل، ولذا فمن الضروري أن لا تعزل هذه المدينة عن النجف لأنها ستكون بمثابة الحل لكثير من المشاكل[٥]. ويبدو أن هذا التفاول نابع من تنمية وسائل القطاع البلدي بعد تعزيز وسائل دعم هذا القطاع.

المبحث الثاني

وسائل الإدارة البريطانية في رفع الأوضاع البلدية

رفعت الإدارة البريطانية الأوضاع البلدية بوسائل عدة وهي (الضرائب) التي نظر إليها أهالي النجف وكأنها بدعة، وهو الأمر الذي جعل تطبيقها صعباً، لأنهم ينظرون أنفسهم أنهم أصحاب امتياز، واستغربت الإدارة البريطانية من هذه النظرة وبخاصة وجود مفارقة أنهم فرضوا على غيرهم من خارج المدينة ضرائب كنظام جباية على الداخلين للمدينة وعلى عملية الدفن فيها، وهذا الأمر كان من الأسباب في فشل موظفي الضرائب المتعاطفين اساساً مع أهل المدينة بتغاضيهم في دفع الضرائب، وبخاصة مع عدم وجود آلية مضبوطة للتدقيق، فضلا عن وجود نقص في موظفي الضرائب، والارتباك في طريقة عملهم في وقت حاجة المدينة إلى نظام ضريبي، وعمل لساعات إضافية حتى : " إبقاء عجلة العمل دائرة دوماً "[٦] ويبدو أن العمل المكثف دل على وجود مهام تستوجب استنفاذ جميع الوقت في رفع الواقع البلدي.

واعترفت الإدارة البريطانية بعدم نشر الثقافة الضريبية بين أهالي النجف، وإفهامهم بأن ما يحصلون عليه مقابل أموالهم هو تحسين الواقع البلدي، وتأمين البضائع، وإقناعهم بخطأ الاعتقاد السائد إن نظام الضرائب هو نظام إقطاعي[٧] واقترحت ان تكون الضرائب وزيادتها قائمة على أسس منطقية، وعلى الرغم من صمت رجال الدين حول أمر الضرائب إلا إن هناك رسائل عديدة وصلت منهم تطالب بإعفاء موكليهم وبدون شروط من تلك الضرائب، وهو أمر مرفوض عند الإدارة البريطانية، ولأجل ذلك ولتذليل الصعاب وتوضيح فائدة الضرائب اتخذت هذه الإدارة قراراً بعقد مجلس أسبوعي لمندوبين منتخبين من إحياء النجف وايضاً الكوفة والفائدة

---

(١) ظهر في مدينة النجف حدثان سياسيان نتيجة ما أفرزته موقعة الشعيبة في ١٢نيسان ١٩١٥ الأول انتفاضة حزيران ١٩١٥ ضد العثمانيين. ظهرت بعد التجاء عدد من الناجين من خطر الموت إلى مدينة النجف، والاختباء في سراديبها فضلا عن شعور العثمانيين بالانكسار وفقدان هيبتهم فقاموا بالتفتيش عن الذين تركوا ساحات المعركة وعدوهم متمردين على الحكومة العثمانية، وكان أسلوب التفتيش مستفزاً للمشاعر في المداهمات وجس صدور النساء بحجة أنهم الفارون متنكرين بزي النساء، فوقعت الاضطرابات بالمدينة وقام العثمانيون بممارسة الضغوط على سكان النجف، وفرضت عددا من الإجراءات المشددة كالغرامات المالية ومصادرة الأطعمة، ولم تسلم حتى النساء. والثانية انتفاضة آذار ١٩١٨ ضد البريطانيين بزعامة (جمعية النهضة الإسلامية السرية المؤسسة في ١١ آذار ١٩١٧) اذ تمكنت من قتل الحاكم العسكري في مدينة النجف (الكابتن مارشال) في ٢١ آذار ١٩١٨، وإشعال الاضطرابات في المدينة. حسن ألأسدي، ثورة النجف على الانكليز، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٣٣ ؛عبد الله فهد ألنفيسي، المصدر السابق، ص ٩١؛ مجيد الموسوي المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢) British Quoted from Report ,O. P Cit. ,p ٨٨

(٣) Ibid,p٨٨.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة وأثرها الحضاري ينظر : احمد ناجي، قضاء المناذرة (التسمية والتكوين) (النجف : دار انوار الغدير للطباعة، ٢٠٠٣).

(٥) British Report ,O. P Cit. ,p٨٨

(٦) Quoted from, Ibid ,O. P Cit. ,p٨٨

(٧) عانى العراقيون بشكل عام من الضرائب التي فرضت منذ عهد العثمانيين ومنها (ضريبة الالتزام) وهي ضرائب تفرض على الفلاحين كرسوم عبور جسر أو ري لأرض زراعية ومما زاد الطين بلة هو إن هؤلاء الملتزمين أصبحوا بمثابة أقطاعيين يجمعون للعثمانيين ولأنفسهم في الوقت نفسه. حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط٢ (القاهرة: مط حجازي، ١٩٣٨)ص٣٦٤

الأكثر لمثل هذا المجلس بأنه سيصبح بمثابة : " نافع في شرح حقائق أولية محددة حول ضرورة ضرائب البلدية، واستخدامات ما ستوضع فيه، وسيكون نشاطهم في إظهار قضية الضرائب المضافة والعادية بأنها أكثر فاعلية، وأنهم في وظائفهم هذه بمثابة مستشارين سيسهمون في رد أي معارضة قد تسببها الإصلاحات البلدية "[1]. ويبدو أن هذا العمل هو جزء من نشاط نشر الثقافة الضريبية.

وشددت الإدارة البريطانية على ضرورة عدم التهاون في شأن الضرائب، وان يكون موظفو الضرائب في النجف راسخين وواثقين، لأنهم يديرون مقدرات هذه المدينة، ووسيلة لرفع شؤونها البلدية، ورفض كل طلب إعفاء من رجل دين أو غيره، لان قبول إحدى تلك الطلبات بمثابة إنذار في تأجيج النار من الجمر- التخوف من كثرة طلبات الإعفاء وحدوث عدم اتزان في فرض الضرائب – ولذا فأن مفهوم التسامح في هذه القضايا مرفوض، وكل مخالف يجب إن يعاقب ولكن قبل ذلك العقاب يجب إن يعطى للناس توعية بأن مقابل أموالهم سيظهر عائد ملموس وإفهامهم إن العام القادم – ١٩١٩- هو عام تطوير الثوابت والتغيير نحو الأفضل.[2]. ولإظهار ذلك وبغية إقناع الناس بجدوى الضرائب اقترحت الإدارة البريطانية تخصيص مبلغ من ميزانية المدينة لإضاءة أسواق المدينتين وشوارعهما، حتى يكون عملاً متكاملاً مع تعديل وتسوية الطرق الرئيسية، وإلغاء الأفرع غير المفيدة.[3] وهذا العمل في ظاهره إقناع العامة بجدوى عملية فرض الضرائب، فأصبح عملاً دعائيا للبريطانيين بأهمية العمل الضريبي.

ورأت الإدارة البريطانية في النجف دور خط تراموای نجف – كوفة[4] في زيادة حجم الضرائب العائدة لبلدية النجف، وبخاصة بعد سعي هذه الإدارة إلى تأسيس خدمة على مركبات الترام ذات (المحرك الكهربائي) وعلى الرغم أن هذا الخط سوف يصبح ملكا للحكومة المركزية بعد ثلاثين عاماً إلا إن هذه المدة كافية لاقتطاع ضرائب تساعد الشأن البلدي في تكلفته، فسعر القضبان الحديدية والمحرك الكهربائي لن تكون باهظة الثمن إذا نشط العامل الضريبي، وإما الإرباح ستكون مصدراً مهماً لدخل مدينة النجف وأهلها، فضلا عن توفير وسيلة مهمة للنقل العام[5].

وأثمر نشاط البريطانيين في عملية فرض الضرائب حتى أنهم افتخروا بنجاح هذا العمل. إذ كان حسن تدريب طاقم العمل من موظفي الضرائب أساس ذلك النجاح. ولذا ارتفعت ضرائب المدينتين لعام ١٩١٨ والتي رسّمت بمخطط بياني لكل مدينة، ففي مدينة النجف ارتفعت من إلفين وثمانمائة روبية في شهر تموز – ابتدأت في هذا الشهر بسبب انتفاضة اذار ١٩١٨ التي أفقدت بيانات الأشهر الخمسة الأولى – انتهت إلى ستة ألاف روبية في كانون الأول، وفي مدينة الكوفة من مائتي روبية في شهر كانون الثاني إلى أربعة ألاف وأربعمائة روبية في كانون الأول.[6] الأمر الذي دل على اهتمام الإدارة البريطانية وجديتها في شأن الضرائب ونجاحها. والتي أصبحت وسيلة في رفع الأوضاع البلدية في مدينتي النجف والكوفة، إما أهم أنواع تلك الضرائب فهي : –

أولا: – ضريبة السكن

وهي مبالغ تؤخذ عن المنازل. وكانت بسيطة وتتصف بالدقة، إلا إن الإدارة البريطانية أوصت بإعفاء البيوت التي تشتمل على حجرات دفن فيها رجال الدين دون سواهم، وسبب اتصاف هذه الضريبة بالبساطة، لأنها لم تطبق بشكل كامل، بسبب كونها ضريبة متعثرة لان اغلب أهالي النجف رفضوا دفعها، ووصل الأمر إلى أكثر من نصف ساكني بيوت النجف رفض دفع مثل هذه الضريبة، والذين تشجعوا بشكل أكثر عند إرسال بعض رجال الدين رسائل للإدارة البريطانية في النجف تلتمس إعفاء موكليهم من هذه الضريبة، فضلا عن ذلك عدم وجود إحصاء لسكان النجف وقائمة مفصلة بمنازلهم، ورغم ذلك فأنها أسباب لم تمنع من ضرورة فرض هذه الضريبة، بل حَذرت الإدارة البريطانية من التهاون في جمعها، والاعتذار لطلبات الإعفاء القادمة من رجال الدين، واستمرار زيادة التوعية بفائدة الضرائب، وكبح جماح هذا الطفل المدلل – مدينة النجف – إما مدينة الكوفة فامتازت بعدم وجود صعوبات جمع هذه الضريبة مثلما حصل في مدينة النجف[7].

---

(١) British Quoted from Report ,O. P Cit. ,p٨٨

(٢) Ibid,p٨٨.

(٣) Ibid,p٩٠.

(٤) ترجع فكرة هذا المشروع إلى نهاية القرن التاسع عشر إلا إن عرباته بدأت التنفيذ في عام ١٩٠٦ التي جرتها خيول بين الكوفة والنجف وبالعكس، ولا يقتصر النقل على المسافرين فحسب بل تعداه إلى نقل البضائع التجارية، وهو مشروع أهلي التمويل، افتتح برأسمال أربعة وعشرون إلف ليرة وأسهمه مقسمة إلى اثني عشرة الإلف سهم، لكل سهم ليرتين، ومقسومة لثلاثة أثلاث هي الثلث الأول هي للبغدادي عبد الرحمن باجه جي زاده والثاني للبغدادي محمد صالح افندي شابندر زاده والثالث هي لكليدار زاده السيد علي افندي وعبد المحسن شرش وكلاهما من النجف، اكمل المشروع في عام ١٩٠٨ بأسم (شركة تراموای العثمانية) وبداء نشاطه. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط٥ (بيروت : دار الرافدين، ٢٠٠٤) ص٣٨٤؛ محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ج٣، ص٩٤.

(٥) British Report ,O. P Cit. ,p٨٩

(٦) Ibid,p٨٩.

(٧) Ibid,p٨٩-٩٠.

ثانيا: - ضريبة الماء

دفع عدم توفر الماء الصالح سكان النجف إلى الاعتماد على السقاة الذين يحملون الماء بقربهم على اظهر الحمير من قناة تقع على مشارف مدينتهم بالقرب من الحيرة، وتنقل إلى مدينة النجف ومن هناك توزع، ولحل هذه المشكلة قامت الإدارة البريطانية في النجف بتمويل قدره ألف وخمسمائة روبية لتطهير هذه القناة وتنصيب مضختين لدفع الماء منها، ورأت هذه الإدارة أن الأهالي أصبحوا مسؤولين إمام هذه النفقات، وبالتالي وضعت ضريبة نصف عانة على كل قَربة ماء تصل المدينة، وهو مبلغ لا يشكل عبئاً لان الأهالي مدعومين من قبل نظام البلدية في كلفة السقي، وهذا الحل هو الأمثل من وجهة نظر الإدارة البريطانية، لأنه يقطع دابر المتسلطين بتجارة بيع الماء، إما في مدينة الكوفة فلم تظهر الحاجة لمثل هذه الضريبة- لإطلالها على نهر الكوفة - ولكن في الوقت نفسه ظهرت توصية في التقرير وهي إيجاد ضريبة ماء على أهالي الكوفة تنفق لإنشاء مصفى لهم يوفر لهم الماء الصالح[١]. ويتضح إن البريطانيين سعوا إلى توفير الماء في مدينة النجف بغض النظر عن تصفيته بسبب حاجة المدينة الملحة، اما مدينة الكوفة فبسبب وجود نهر الكوفة سعت تلك الإدارة إلى تصفيته وتوفيره.

ثالثا: - ضريبة البناء

وهي الضرائب التي تفرض على البناء. وعلى الرغم من دور هذه الضريبة في توفير مبالغ لبلدية المدينتين لكنها كانت غير مفيدة، إذ لم يستفد أهالي المدينتين من هذه الضريبة بسبب تعطل مشاريع البناء التي توقفت لأعمال الحرب والمشاكل التي ظهرت عنها - انتفاضة عامي ١٩١٥و ١٩١٨- فضلا عن عدم الدقة في أعمال البناء والإعمار، بالرغم من رغبة الكثير من أهالي المدينتين في البناء، فضلا عن الأسباب الأنفة هناك مشكلة ارتفاع أسعار الخشب، وقدم طرق البناء، واقترحت الإدارة البريطانية لحل هذا الأمر: " تجهيز المدينتين بقضبان الكونكريت المسلح لبناء وترميم المنازل، وقيام المهندسين البريطانيين بزيارتهما لإعطاء مشورتهم في شكل وطبيعة البناء، حتى يُفعل أمر هذه الضريبة بشكلها الكامل "[٢].

رابعا: - ضريبة الجَزْر

وهي المبالغ التي تُستحصل من عمليات جزر الأغنام. وهي مبالغ واطئة في كلا المدينتين لوجود صعوبات في الجباية، التي انخفضت بسبب نقص الأغنام، ووفق ما ورد في التقرير هو كثرة شرائها من اجل الجيش البريطاني المرابط على مشارف الموصل. وأكد بأن هذا النقص سينخفض وبشكل مؤكد في السنة المقبلة نظرا لتناقص قواعد الجيش مستقبلا، ولاحتمال استيراد أعداد من الأغنام من الجزيرة العربية. وباشرت الإدارة البريطانية بإنشاء مجزرة النجف وأخرى في الكوفة. وشُددت على ضرورة أن تجزر الحيوانات في هاتين المجزرتين، وهذا الأمر سيعمل بشكل كبير على تسهيل السيطرة على جمع الضرائب المكرسة بشكل كامل لبلديتي النجف والكوفة.[٣]

خامسا: - ضريبة الزيت

وهي ضريبة تجمع من الممنوحين التراخيص. وهم الوكلاء المعتمدون في تجهيز الزيت لأصحاب المضخات الزراعية. ولم تظهر أي صعوبات في تحصيلها، وكانت مبالغ ضريبية ضئيلة بسبب عدم وجود تنظيم والتجهيز غير الملائم، وتأمل الإدارة البريطانية أن تعالج هذه القضية خلال مدة قصيرة، ويتوقع أنْ تكون مبلغ هذه الضرائب في عام ١٩١٩حوالي ألف ومئتي روبية من كلا مدينتي النجف والكوفة[٤].

سادسا: - ضريبة الوردية

وهي ضريبة تجمع مرة في الشهر على كل الحيوانات الساحبة لوسيلة نقل والمربوطة دون تلك الوسيلة في المدينتين ذات الأجرة. ووصل معدل إنتاجها شهريا من الأموال في الربع الأخير من عام ١٩١٨ألف وخمسمائة روبية في النجف. وخمسمائة وعشرين روبية في الكوفة،فضلا عن ضريبة مرور الزوار للمدينتين، وتشيد الإدارة البريطانية بحماسة جامعي الضرائب لهذا النوع ووصفهم بالمخلصين، ويشدد على ضرورة إن يكونوا من الصادقين المخلصين وان يكونوا صارمين مع الغرباء على البوابات، وهذا الأمر ساعد في زيادة الأموال المحصلة[٥].

سابعا: - الضريبة الميدانية - تسمى حاليا بالساحة-

هي ضريبة تقدر أثنين ونصف بالمائة للحيوان المباع ما عدا الأغنام لأنها تباع في سوق مفتوحة. وتنتج هذه الضريبة دخلا شهرياً معدله إلف روبية في النجف، وثلاثمائة روبية في الكوفة. وكانت النجف مكاناً لبيع أعداد كبيرة من الحيوانات التي تجلب إليها من المدن الفراتيه المجاورة.

---

(١) Ibid, p٩٠.

(٢) Ibid, p٩٠.

(٣) Ibid, p٩٠.

(٤) British Report ,O. P Cit. ,p ٩٠ ؛ارنلد. تي. ويلسون (بلاد ما بين النهرين بين ولأين، ت: فؤاد جميل، ج٢ (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢)ص٢٦٢.

(٥) Ibid, p٩٠.

ووضع التقرير جدولاً لإعداد وأسعار تقريبية للحيوانات المباعة شهريا في عام ١٩١٨:

الحيوان	العدد	السعر / روبية
الحمير	٢٠٠	٤٠- ١٠٠
الخيول	٣٠- ٥٠	١٠٠- ٣٠٠
البغال	٨٠- ١٠٠	١٥٠- ٧٠٠
الثيران	٢٠- ٣٠	٧٥- ١٠٠
الجمال	٢٠- ٢٥	١٠٠- ١٢٠
الجاموس	٢٠- ٣٠	١٥٠- ٢٠٠

وأشار التقرير بعلامة النجمة التوضيحية في أسفل الصفحة عن الثيران والجمال المباعة بأنها للذبح لا غير، وان القصابين لا يدفعون هذه الضريبة، بالكتابة : " الجمال والثيران تباع في النجف فقط للذبح،الثيران عادة ما تُشترى من قبل القصابين في الخارج ولذا فهم قليل ما يُدفعون (الميدانية) في النجف "[١].

ثامنا: - الدلالية

تشبه هذه الضريبة ضريبة الميدانية، وتجبى من المواد المباعة بوساطة المزاد. وكانت عند البريطانيين غير نافعة ، لأنها غير دقيقة التحصيل لصعوبة الرقابة عليها، ويمكن التهرب منها بسهولة. استأنفت لشهر واحد في كلا البلديتين، وأنتجت دخلا قدره خمسمائة وعشرون روبية في النجف و مائة وثمانون روبية في الكوفة. وكانت السلع الأساسية المزايد عليها هي (المخضرات،المفروشات، الملابس القديمة والأواني المنزلية) وأشار التقرير إلى إن نصف ضرائب الدلالية هو من المخضرات. وهذا الأمر دفع الإدارة البريطانية إلى التنبؤ عن ضرائب جيدة من موسم المخضرات في السنة التالية- ١٩١٩-.

تاسعاً: - المراقبة والانتباه – الحراسة-

هي مبالغ ضريبية تدفع لإعمال الحراسة، وتجبى مبالغها من أصحاب المنازل والمحلات في النجف والكوفة، وتوضع مبالغهما جانبا لأجل مخصصات كمساهمات للشرطة في حال حلوا مكانهم. وتتوقع الإدارة البريطانية أن تكون المبالغ المستحصلة في السنة التالية- ١٩١٩- على أساس العشرة بالمائة من الإيجار فستبلغ عشرة آلاف روبية في النجف وسبعة الإلف وخمسمائة روبية في الكوفة، فضلا عن ذلك تم فرض هذا النوع من الضرائب على الزوارق الناقلة للبضائع لأنها تحتاج إلى حماية[٢].

(١) Ibid ,p ٩٠ Quoted from - British Report ,O. P Cit. , p ٩٠ ,

(٢) p٩٠. Ibid,

عاشراً: - ضريبة العبارات

وهي مبالغ مستحصلة من إيجار عبارات تعود ملكيتها لبلدية الكوفة، استخدمها الأهالي للنقل. وكان التجاء الناس إلى النقل بوساطة العبارات في نهر الكوفة لانهيار الجسر الذي شيده العثمانيون بسبب الفيضانات التي حصلت في كانون الأول ١٩١٦، والجدير بالذكر كانت ضرائب هذا الجسر تعطى لكلا البلديتين (النجف والكوفة) ولذا فالعبارات أصبحت المعنى الوحيد للنقل، وسعر الواحدة منها بلغ أربعة آلاف وأربعمائة وخمسة وسبعون روبية، وتمتلك بلدية الكوفة أربعة عبارات صغيرة في ساحة البلدية بقيت قيد الاستعمال، واستثمرت بإيجار سنوي قدره ثلاثة آلاف روبية، وأظهرت الإدارة البريطانية فوائد بناء الجسر الجديد الذي بني من قبل سلطات الجيش البريطاني، اذ افتتح للعامة في الأول من أيلول- ١٩١٨ - . وسلمت رسوم عبوره إلى الجيش للحفاظ على الجسر وتطويره، والتي تعادل نصف رسوم بلدية الكوفة، وبعد القيام بحجب مساعدات تقدر بألف وخمسمائة روبية لبلدية الكوفة، لذا أوصت الإدارة البريطانية بضرورة شراء بلدية النجف هذا الجسر بقرض ممنوح لهذه البلدية على مدى زمن معقول[٣].

المبحث الثالث
جهود الإدارة البريطانية في تطوير الأوضاع البلدية وتحديثها

اعترفت الإدارة البريطانية بتقصيرها في تحسين حال مدينة النجف منذ عام ١٩١٧، وبررت ذلك في قلة المال والتجهيزات اللازمة، ولكن ذكرت إن هناك عمل بسيط قامت به وهو تحسين أوضاع المدينة بتهديم بعض المنازل لعمل طريق خرق أسوارها، والذي أعطى للمدينة التهوية الجيدة وتحديث طرقها، وهذا الأمر لا يخلو من الدافع العسكري إذ إن: " هذا العمل فتح الطريق إمام السيارات البريطانية المدرعة "[٤].

أما المباني الحكومية فأنها دمرت بسبب أعمال الشغب - إحداث عامي ١٩١٥ و١٩١٨- ولكن الإدارة المدنية في النجف بدأت العمل في ترميم سراي الحكومة، وبناء مستوصف، وطلبت مبلغ أربعة آلاف روبية لأعمال التحديث من ترميم خان كبير للزائرين داخل بوابة الكوفة من سور النجف يعود لطائفة البهرة[٥] والذي أصبح مقراً للشرطة وكان يؤمل اكتماله في عام ...

(٣) p٩١. Ibid,

(٤) p٩١. Ibid,

(٥) هي إحدى الفرق الشيعية الهندية التي تؤمن بالأئمة من نسل الرسول محمد (ص) الذين قتلوا بالسيف دون سواهم. للمزيد من التفاصيل ينظر: أبي

١٩١٩، والأملاك الحكومية التي تأثرت بأعمال الشغب الأنف الذكر، وصيانة المنازل المصادرة من المشاركين في إحداث ١٩١٨ على الرغم من أنها تعاني من التآكل. هذا التخطيط لإعمار المدينتين خصص له مبالغ من ميزانية عام ١٩١٩ لمهندسي بلدية النجف والكوفة بقيمة تقارب ثمانية عشر ألف روبية. ولأجل أن يتم تطوير المدينتين وتحديثهما من الضروري ان يتمكن مهندس مدني من إعطاء هاتين المدينتين فوائد مشورته واهتمامه غير المنقوص، و تدريب الحرفيين المحليين في تحسين طابوق البناء وزيادة الوقود، واستعمال الكونكريت المسلح بدلا من خشب البناء، واستخدام الأساليب الأوروبية الدقيقة في العمل، و تخطيط البنايات الجديدة وإصلاح القديمة منها[١].

وأوصت الإدارة البريطانية بوضع خطة لتصريف المياه، وإنشاء شوارع واسعة وبخاصة بين الأزقة التي لا تدخل لها أشعة الشمس التي تسبب الإصابة بمرض السل. ووضعت خططاً كاملة لتوفير الماء ونقله من نهر الكوفة عبر خط من الأنابيب، تنفذه شركة موريس البريطانية الموجودة قبل الحرب- ١٩١٤- وكان لبلدية النجف ثلث أسهمها، ولهذا الغرض اشترت الشركة إلفين وخمسمائة أنبوب بسعة أربعة عشر انجاً، وكان منها إلفان ومائتان وصلت إلى العشار في مدينة البصرة قبيل اندلاع الحرب تنتظر شحنها الى الكوفة سيطر عليها الجيش البريطاني بعد احتلال البصرة وصادر منها خمسمائة أنبوب لإنشاء سكة حديد على طريق ديالى فيما بعد، إما البقية فهي في أماكنها الأصلية بامتداد الخط بين الكوفة والنجف. وقيمة هذه الأنابيب في النجف مع معدل أسعار الشحن هي عشرة باون لكل أنبوب، وفضلا عن صعوبات نقلها فأن الإدارة البريطانية وجدت إن قضية نقلها مؤسفة وتوافق مع استبدالها بعد الحرب بعد تقديم الإدارة المركزية في بغداد الضمانات والوعد بإبدالها، وأشار التقرير إلى إن الوقت المناسب قد حان لتنفيذ هذا الوعد، وتبدو أن العلة المالية هي السبب في تغيير البريطانيين نوع الأنابيب إلا إن الأمر لا يعني تخليهم عن المشروع. وكان هناك مقترح إن تُلحق بمعمل ضخ المياه في الكوفة محطة تعمل بالطاقة الكهربائية[٢].

وذكر التقرير عن الهدف من المحطة الكهربائية وهو إضاءة كلتا المدينتين، وتوفير الطاقة للمضخات والمطاحن العديدة، والترامواي الكهربائي الذي يربط الكوفة بالنجف والذي يعد الوسيلة الوحيدة للوصول الى النهر والاتصال بالعالم الخارجي،، ويتضح إن البريطانيين سعوا لتوجيه الطاقة الكهربائية لإغراض عامة دون السعي توفيرها للناس وهذا الأمر يرجع إلى إن الهدف الرئيسي هو تطوير الواقع البلدي للمدينتين وتعزيز السلطة. فوجهت الإدارة البريطانية الاهتمام الى خط الترامواي الذي تعود ملكيته إلى شركة الترامواي التابع لبلدية النجف والتي تمتلك ايضاً عدة قاطرات وثمانين من الخيول، وان الخط موضوع بشكل ممتاز ومن أفضل المواد المصنوعة، وعلى الرغم من ذلك فأن قاطرات السكة الحديدية التي تجرها الخيول في وضع يرثى لها، وذُكر في التقرير سبب صعوبة استبدالها خلال الحرب بالإشارة إلى المزاج العربي وتعلقه بخيله وقد فشل في استغلاله بشكل جيد في خط الترامواي. ونوه إلى تحديث أفضل لهذا الخط مع رفع للواقع التجاري لكلا المدينتين بالكتابة : " لقد سبق اقتراح ان خدمة المحركات او الترامات الكهربائية التي تمتلكها البلدية سوف توفر دخلا كبيرا للمدينتين وحقيقة إن أجور استعمالها في يوم واحد من أيام الزيارات ستصل إلى إلف روبية سيعطي فرصاً اكبر للمناقشة لصالح مثل هذا الإجراء"[٣]. وهذا بطبيعة الحال يؤمن تحسناً أفضل للواقع التجاري، ويوفر ضرائب كافية تساعد على تطوير الأوضاع البلدية للمدينتين وتحديثهما.

وكان لبلدية الكوفة نصيبها من التطوير والتحديث. إذ تم القيام بأعمال لا بأس بها بإعادة بناء جدار النهر- مسناة - وبالرغم من انه قد بني من قبل أصحاب الدور الواقعة على ضفة النهر وبكلفة لكين من الروبيات - مائتي ألف روبية- وأكملت نصف المسافة إلا إن بلدية الكوفة ساهمت بمبلغ أربعة وأربعين ألف روبية قدمت بصفة قرض من الريع العام، وتم تجفيف البزول وتسويتها، وكذلك أكساء جوانبها بالأجر. وشرحت الإدارة المدنية للناس مميزات الطلاء كمادة حافظة للأعمال الخشبية وللزخرفة وزينة لواجهات الدور والمحلات. وعلى الرغم من ان هذه الأعمال ساعدت على تطوير في الوضع البلدي لمدينة الكوفة، إلا أن الإدارة البريطانية توقعت عدم القيام بالكثير من الأعمال لبلدية الكوفة خلال العام التالي- ١٩١٩- وبررت ذلك التقصير إلى إعمال الرصيف النهري الذي استنزف معظم أموال البلدية وطاقتها، وأشار التقرير إلى النظر بتطوير الأوضاع البلدية لمدينة الكوفة من أعمال تحسين بعض الشوارع، وتصريف شؤون معينة لم يسمها ولكنها تبدو خدمية[٤].

محمد الحسن النوبختي، فرق الشيعة، تعليق محمد صادق بحر العلوم (قم : طبع مكتبة الفقيه، ١٩٦٩).

(١) British ,O. P Cit. ,p ٩١ Report

(٢) p٩١. Ibid,

(٣) p٩١-٩٢. Ibid,

(٤) p٩٢. Ibid,

كان الاهتمام بالجوانب الصحية يمثل شكلاً من أشكال دعم الأوضاع البلدية في كلا المدينتين. ووصف ذلك الاهتمام بأنه أكثر أهمية من تحسين الشوارع والبنايات، وكان الحد من تفشي الأمراض هو حاجة ملحة لتوجيه الاهتمام الصحي وبخاصة لمدينة مثل النجف وبدون تأخير، لأنها توفر ظروفاً مثالية لحضانة وانتشار الأوبئة، وبخاصة بعد معرفة نسبة وفيات الأطفال بأنها استثنائية، وتكاد بعض الأوبئة إن تكون عالمية حسب وصف التقرير. فتشير إلى القليل من السكان الذين تجاوزوا منتصف العمر لم يصابوا بالسل، والمياه المتوفرة غير كافية ومعرضة للتلوث، ومياه الآبار متشربة بالأملاح وملوثة بمياه المجاري. ورغم اتخاذ إجراءات مؤقتة وبسيطة جدا في عام ١٩١٧ لكن أصيبت مدينة النجف بمائة إصابة بالجدري مع وفاة اثنين وثلاثين منهم، كما أصيب العديد من الأطفال بالعمى بسبب هذا المرض، وتم تلقيح ثلاثمائة طفل ضد هذا المرض وذلك خلال أيام قليلة وفي شوارع المدينة. عن طريق مشرفين صحيين وهم يلقحون الأطفال بالتقيح الجاف المأخوذ من بثور الجدري والذي يحصلون عليه من اليهود في الحلة الذين كان لهم الخبرة في كيفية المحافظة على هذه المادة اللقاحية، وكاد مثل هذا الإجراء يكون بمنتهى الخطورة إذا مر دون إشراف طبي. واتخذت بلديتا النجف والكوفة إجراءات لتطوير الأوضاع الصحية فقامتا ببناء المراحيض المؤقتة في كلا المدينتين إلا أنها لم تكن كافية، وأوكلت مهام تنظيف شوارع المدينتين إلى عائلة (عوز) وتبناها ابنها (علي) وهو شخص من مدينة النجف عمل بصفة مفتش صحي، وكان قد حصل على رضا من مرؤوسيه على عمله ونشاطه[١].

أشار التقرير إلى انتشار مرض الأنفلونزا في مدينة النجف انتشاراً خفيفاً على الرغم من الإجراءات الصحية المتخذة، ووصف قلة انتشاره بأنها مسألة حظ ولم يكن من جراء هذا المرض سوى القليل من الوفيات، ولكن هناك تخوف من توقع وصول معدل زوار المدينة في عام ١٩١٩ إلى مليون زائر ومن المتوقع ستصبح المدينة مقرا لتبادل الأمراض الخطيرة يقابل ذلك أن بلدية النجف تكاد تخلو من الكادر الصحي القادر على احتواء ومعالجة هذه الإمراض، بل إن خزينة هذه البلدية غير قادرة على تمويل الإجراءات الاحتياطية الصحية، وأشار التقرير إلى الإجراءات الصحية في العهد العثماني في محاولة الاستفادة منها بالكتابة : " لاحظت الحكومة السابقة هذا الأمر وتم فرض ضريبة الحجر الصحي ومقدارها أربع روبيات على كل جثة يتم إحضارها إلى النجف نظريا كانت المبالغ المجموعة من هذه الضريبة مخصصة إلى الكادر الصحي الذي يراقب إصابة الزائرين والجثث لدفنها خوفا من تفشي الأمراض ويتخذ الإجراءات لحماية مصادر المياه وعزل المرض، وبلغ الدخل المتوصل من هذه الضريبة حوالي اثنتين وخمسين إلف روبية منذ حزيران وسُلم للريع العام، وكان من المتوقع إن يبلغ مائة وعشرين إلف روبية في العام المقبل، ومن المؤمل إن يكرس هذا المبلغ بالكامل لإيجاد مكتب صحة في النجف تحت إمرة ضابط بريطاني مع مرؤوسين مدربين وسيكون هذا المكتب ذا فائدة كبيرة للمدن الأخرى إضافة إلى النجف والكوفة، عُرض هذا المقترح على الخزينة وأضيفت له بعض الملاحظات من قبيل التأسيس والإنفاق"[٢] ولذلك تكللت جهود الإدارة البريطانية في تأسيس مكتب صحي يجمع تلك الإجراءات ويُحسن من الواقع الصحي، وأصبح من الجهود التي أحدثت تطوراً في الأوضاع البلدية، وأطلقت عليه اسم المؤسسة وبذلت نفقات وصلت مائة وعشرين إلف روبية[٣].

تأسيس مكتب الصحة في النجف والكوفة ونفقاته: -[٤]

١- **المؤسسة:**

العدد	المؤسسة	السعر روبية	القيمة السنوية روبية
١	مكتب الصحة	-\ ٧٥٠	-\ ٩٠٠٠
١	S. A. S - ضابط-	-\ ٢٠٠	-\ ٢٤٠٠
٢	-B. O. R. s,each نوع من اللقاح-	-\ ٢٧٥	-\ ٦٦٠٠
٢	-s,each. B. O. R نوع من اللقاح-	-\ ٢٢٥	-\ ٥٤٠٠
١	مفتش صحي (هندي)	-\ ١٨٠	-\ ٢١٦٠
٢	مفتشون صحيون (عرب)	-\ ١٠٠	-\ ٢٤٠٠
١	موظف (كاتب)	-\ ١٢٠	-\ ١٤٤٠
٢	ملقحون	-\ ١٠٠	-\ ٢٤٠٠
١٠	شرطة صحية	-\ ٦٠	-\ ٧٢٠٠
٢	qquwasses- قاوش بمثابة ردهة-	-\ ٣٠	-\ ٧٢٠

(١) p٩٢. Ibid,

(٢) Quoted from Ibid ٩٢ ,p

(٣) p٩٢. Ibid,

(٤) p٩٣. Ibid,

			٣٩٧٢٠

٢- نفقات أخرى:

النفقة	السعر بالروبية
جمع كلفة الحجر الصحي	٤٠٠٠ \ -
تنظيم البالوعات	٣٨٠٠ \ -
شراء الحمير	٢٢٠٠ \ -
صيانة الحظائر (الإسطبلات)	٤٠٠٠ \ -
إنشاء المراحيض	٢٠٠٠٠ \ -
بناء مغتسلين	١٠٠٠٠ \ -
إعادة بناء المكتب الصحي	١٥٠٠٠ \ -
طوارئ المكتب	٥٠٠ \ -
طبيات... الخ	١٠٠٠٠ \
احتياطات ضد الأوبئة	١٠٠٠٠ \ -
متفرقة	٧٨٠ \ -
المجموع	٨٠٢٨٠ \ -
المجموع الكلي	١٢٠٠٠٠ \ -
دخل الحجر الصحي خلال العام	١٢٠٠٠٠ \ -

ذكر التقرير افتتاح مستوصف في مدينة الكوفة في شهر شباط عام ١٩١٨. وان حضور الناس في بداية افتتاحه كان قليلاً جداً، وكاد ينحصر علاجه في حالات إمراض العيون التي قال عنها بأنها " كانت منتشرة جداً" لكن الحال قد تغيير بعد شهرين إذ اكتسب ذلك المستوصف ثقة الناس، وأصبح عدد المرضى المراجعين كبيراً جداً حتى حصل الإذن على توسيعه، وتزويده بستة أسره، وقَدم الصليب الأحمر البريطاني مساعدة بتجهيز الأجنحة الجديدة. حتى أصبح يستوعب أكثر من مائتي مريض يحضرون يوميا وصار من الضروري افتتاح مستوصف جديد في النجف في نهاية تشرين الأول لتخفيف الزخم عنه، وأعيد بناء سراي الحكومة القديم على شكل مستشفى صغير وكان معدل الحضور اليومي مائة وثلاثين مريضاً. والأمراض الأكثر شيوعاً وانتشاراً في المدينتين هي (مشاكل العين والسفلس والملاريا والسل الرئوي وحصى المثانة والبواسير والسيلان) ومرض السفلس أكثر شيوعاً وازعاجاً عند أهالي النجف، وهو التهاب فموي سفلي ناتج عن المشاركة في تدخين نفس السيجارة مما يسبب العدوى أكثر ما يسببه البغاء، وسفلس البغاء " أمر غير معروف في النجف " و يبدوان هذا الالتهاب قادم من عادة تدخين الناركيلة في المقاهي التي تستبدل من شخص إلى أخر في اليوم الواحد، وكان مرض البواسير شأنه شأن مرض السل الرئوي شيوعاً وانتشاراً وإزعاجاً وبخاصة إن المرض الأخير منتشر بين الأكبر سناً. ولتطوير الوضع البلدي الصحي وتحديثه تم تزويد ميزانية بلدية النجف بمبلغ عشرة آلاف روبية بصفة تعويض عن إزالة الأحياء المزدحمة، وقد يساعد ذلك في التخفيف من حدة هذه الأوبئة، فضلا عن إن هناك حاجة ماسة وملحة لإنشاء مستشفى للإمراض المعدية، ومن المؤمل إن يكون صندوق الحجر الصحي قادراً على توفير بناية ملائمة للحالات المعدية في المدينتين، وهذه الأمور بمجموعها تصب في تحسين الأوضاع الصحية لكلا المدينتين[١].

أناط البريطانيون مهمة توفير الحاجات الغذائية والوقود وأسعارها بالبلدية. وكان توفير تلك الحاجيات متدهوراً في عام ١٩١٧ ووصف بالخطير - راجع إلى ظروف الحرب - إما في عام ١٩١٨فقد كان اقتصاد الأهالي متقشفاً إذ كان توزيع الشعير قد بلغ ربع ١\٤ لكل شخص، وكان سعره الحكومي يباع بعشر عانات للحقه - أربعة كيلو - إما سعر الأهلي فيباع بأربعة عشر عانة، بل كاد الفارق في السعر الحكومي عن الأهلي بأربع عانات لكل الحاجات الغذائية، إما حجم التبادل اليومي من المبيعات في سوق النجف فقد وصل إلى ثمانية أطنان يوميا، وكان كل شئ تحت الرقابة الحكومية. ومع إعلان الهدنة- مودروس-[٢] هبط سعر الشعير المسعر محلياً إلى ثمان عانات و الحال مثله مع شعير المسعر حكوميا، وانخفضت أسعار الحنطة المسعرة محلياً بحوالي عانة عن السعر الذي تباع به في الأسواق، وهي من الأنواع الممتازة، وبكميات وفيرة وغير محدودة. إما أسعار اللحوم فقد ظهر اعتراف بفشل بلدية النجف بالسيطرة على أسعارها بسبب صعوبة السيطرة على القصابين على الرغم من صدور الأوامر بتحديد أعلى سعر للحم الضأن بثمان عانات، ولكن قرر القصابون الأخذ بسعر أعلى لكل باوند من اللحم، والطريقة التي اتبعوها هي بإبلاغ الزبائن بان الحكومة قد أجبرتهم للبيع بسعر اقل وبالخسارة، وبالتالي فأن الإجراء السليم الوحيد هو البيع خارج الخان المخصص لبيع اللحوم، وهذا الأمر سينقذ الزبون من شراء ما يعد أملاك مصادرة- البيع الحكومي - وبالتالي الوقوع في الحرام، وكان رد السلطة البريطانية والذي اتُبع وأصبح ضرورياً

---

(١) p٩٣. Ibid,

(٢) هي الهدنة التي بموجبها أنهت الحرب العالمية الأولى بإجبار الخاسرون على توقيعها في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وبها وافقت ألمانيا الجلاء عن الأراضي التي فتحوها وتسليم طائراتهم ومدافعهم وعتادهم وعربات السكك الحديد ومعظم أسطولهم. هربرت فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩- ١٩٥٠) ت: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع (مصر : دار المعارف، ١٩٦٤) ص٥٣٨.

سجن جميع القصابين البالغ عددهم الاربعين قصابا، ولكن هذا الإجراء تزامن مع ندرة إعداد الخراف مما أدى إلى ازدياد أسعار اللحوم عانتين، وأدخلت الادارة البريطانية في النجف أسلوب (المنافسة) بهدف توازن الأسعار إذ رأت إن المنافسة هي المنظم والضابط الأفضل لأسعار السوق، ولكن حينما تكون هناك شحه في بعض المواد أو العناصر بسبب ظروف خارجية غير الطبيعية، أوصت هذه الإدارة بتحديد الأسعار لمنع السرقة والاستغلال من قبل الأشخاص الذين يقومون بتوفير المؤن، وشددت هذه الإدارة على سياستها السعرية من تحديد الأسعار والمنافسة في العام التالي – ١٩١٩–[١].

الخاتمة

توصل الباحثان إلى عدد من الاستنتاجات هي: –

أولا: لم تتمتع الأوضاع البلدية في مدينتي النجف والكوفة في العهد العثماني بالاهتمام الكافي وكانت شكلية، أما إنشاء بلدية النجف في عام ١٨٧٥ما هو إلا جزء من الإصلاحات التي أجبرت الحكومة العثمانية على إتباعها ومحاولة جمع شتات الإمبراطورية.

ثانيا: كانت وجهة نظر الإدارة البريطانية إلى جهاز البلدية بمثابة حلقة إدارية مهمة في السيطرة على المدن العراقية والتي تظهر هذه الإدارة في أعين الأهالي بمنظر الصورة الجميلة المقبولة ذات إدارة عالية وبالتالي تصبح بمثابة السلطة الأبوية للناس ورفض السلطات التقليدية مثل الدينية والقبلية.

ثالثا: كانت وسائل الإدارة البريطانية في تطوير الواقع البلدي حديثة ومتطورة قياساً لعام ١٩١٨ في العراق وهي وسائل تلاءمت مع قادة هذه الإدارة وهم النخب العسكرية من مساعدي الحكام في المدن العراقية، الذين بدورهم اجبروا الأهالي على الالتزام بها وبخاصة مع مجتمع النجف والكوفة. فكانت وسيلة الضرائب بمثابة ظلم لاعتقادهم بأنها جباية للحكومة البريطانية أو الرضوخ للسلطة، وهذا الأمر دفع بالإدارة البريطانية إلى نشر الثقافة الضريبية موضحة فيه جدوى الضرائب وفائدتها.

رابعا: دخلت جهود الإدارة البريطانية جميع مناحي الحياة فلم تقتصر على سكان مدينتي النجف والكوفة وإنما تعداه إلى عشائر الكوفة في تجفيف البزول وتسويتها وإكساء جوانبها، وإدخال مظاهر مدنية على مجتمع المدينتين من الطلاء والمياه الصحية والتلقيح و النظافة.

خامسا: جعل البريطانيون من جهاز البلدية بمثابة قلب نابض للمدينتين لأنه يتدخل في جميع مناحي الحياة، وإذا كان هناك خلل ما أصبحت الإدارة بخلل.

(١) British Report ,O. P Cit. ,p٩٤

مصادر البحث

أولاً: الوثائق البريطانية غير المنشورة (ملفات مكتب الحاكم المدني) :

- Office of the Civil Commissioner , Baghdad , Najaf – Kufah – Shamiyah , Syed Abd Allah Bin Syed Abdul Zahrah , ١٩١٨.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة: –

– احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط٣ (القاهرة : مط المعرفة، ١٩٧١).

– ابن الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج١ (بيروت : الدار الإسلامية، ١٩٩٠).

– ارنلد. تي. ويلسون (بلاد ما بين النهرين بين ولأين، ت: فؤاد جميل، ج٢ (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢).

– جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، ج١ (بيروت : دار الأضواء، ١٩٨٦).

– جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الأمامية (دراسة في التطور السياسي والعلمي) (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)

– حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط٢ (القاهرة: مط حجازي، ١٩٣٨).

– حسن الأسدي، ثورة النجف على الانكليز (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥).

– حسين علي الُنجفي، كربلاء –الحلة – النجف (بيروت : الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨)

– حيدر صالح المرجاني، النجف الأشرف قديما وحديثا، ج٢ (بغداد : مط دار السلام، ١٩٨٨).

– سعيد مجيد زميزم، رجال العراق والاحتلال البريطاني، ج ١ (بغداد: مطبعة منين، ١٩٩٠).

– سعيد الخوري الشرنوتي اللبناني، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج١ (قم: دار الأسوة، ١٩٩٥).

– ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط٥ (بيروت : دار الرافدين، ٢٠٠٤).

–شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤– ١٩١٨ (بغداد: مط البرهان، ١٩٥٤)

- عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية ١٢٥٨- ١٩١٧ (بغداد: طبع شركة التجارة والطباعة، ١٩٥٨).
- عبد الله فهد ألنفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (بيروت : دار النهار، ١٩٧٣)
- عبد العظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤- ١٩١٨ (قم: مط شريعت، ٢٠٠٥).
- عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن المارشال (بيروت : مط العرفان، ١٩٨٣).
- عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، النجف الأشرف وحركة التيار الإصلاحي (بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥).
- كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث ١٨٦٠- ١٩٧٣، ج ١ (النجف: مط الغري الحديثة، ١٩٧٤).
- كامل سلمان الجبوري، ثورة النجف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨ (حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل) (بيروت : دار القارئ والمواهب، ٢٠٠٥).
- مجيد الموسوي، الحاج عطية أبو كلل الطائي، (بغداد : مطبعة السعدي، د. ت).
- مصطفى اسدخان، سيرة إل أسد خان (بغداد: مط المعارف، ١٩٦٧).
- محمد التونخي، معجم المعربات الفارسية، مراجعة د. محمد السباعي، ط٢ (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٩٨).
- محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).
- محمد تقي الحسيني، إحكام المعاملات، ج٢ (بيروت: دار كميل، ٢٠٠٥).
- محمد جواد فخر الدين، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي (بغداد: دار الرافدين، ٢٠٠٥).
- محسن محمد محسن، محمد الجواد الجزائري، مؤسس النهضة الإسلامية في العراق، حياته وأثاره (بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٢).
- هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ت: عبد المسيح جويده، ط٢ (بغداد: مط السريان، ١٩٤٥).
- هربرت فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩- ١٩٥٠) ت: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع (مصر : دار المعارف، ١٩٦٤)
- هبة الدين الشهرستاني، معركة الشعيبة ١٩١٥ (اسرار الخيبة من فتح الشعيبة)، تحقيق وتعليق علاء حسين الرهيمي، إسماعيل طه الجابري (النجف: مط الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٨).
- محمد أمين الأمامي الخوئي، مذكرات شاهد عيان (ثورة النجف) ت: بشرى ضياء مشكور، تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبوري (النجف : دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٩).

ثالثا: الموسوعات: -
- جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، ج٤ (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩٣).
- موسوعة النجف الأشرف (المراجع) ج١١ (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩٨).
- المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٦ (بيروت : دار المشرق، د. ت).
- محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تهذيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ج١ (قم مط نكارش، ١٩٩٧)
- تاريخ النجف الأشرف، تهذيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ج٣ (قم مط نكارش، ١٩٩٧)

رابعاً: الدوريات : -
-أفاق نجفية (مجلة) النجف، ٢٠٠٥.

ABSTRACT

THE MUNICIPAL CIRCOMSTANCES THE TWO TOWNS OF NAJAF AND KUFA THROUUGH THE BRITISH ANNUAL REPORT OF ١٩١٨

Dr. Oday Hatim Abdul Zahra Al-Mufraji
Kerbala University – Collage of Education
History Department
Dr. Naaeem Abid Jouda AL - Shaybawi
Kerbala University – Collage of Education
History Department

Municipal circumstances com be considered one of the administrative sevies that has facilated veiling and governing Iraq. those Municipal circumstances emboded in guarding markets , planning cities , providing the population with healthy waters , remeding the dangerous epidemics , developing communication and the arctectur this study of the two Municipalities has depended upon the British annaal report of ١٩١٨ which covered studing and describing the two towns in different sides of the social situations , the general temper of the people and their wish of a fresh municipal circumstances in details that British contained nine separate sub – reports , several attachments and charts explained the .British administration of the two towns

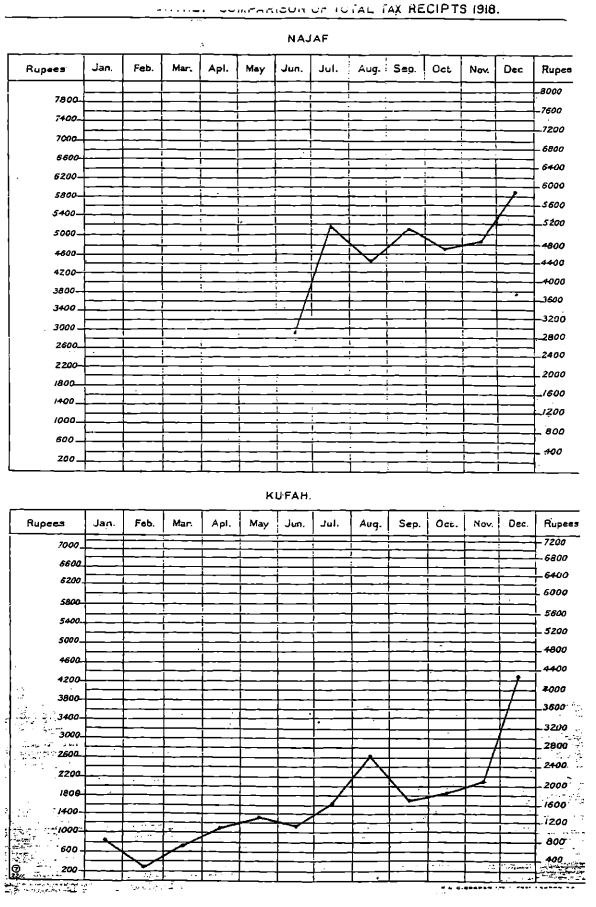

مخطط بياني يوضح مقدار مبالغ الضرائب في مدينتي النجف والكوفة

85

The former three places are tribal marts, consisting of bazaars of from 20–30 shops. From a Revenue standpoint, however, they are of great importance, as they are centres of barter and exchange for very large tribal areas.

Situated as they are in North-East of the district, in the midst of a richly-cultivated area, but fairly distant from Government headquarters, they are at present somewhat uncontrolled. Small Shabanah posts have been appointed, but as soon as municipalities are formed they will have a powerful political effect.

Abu Skorah is at present a very small place, with a new bazaar in course of construction. Its position, however, as the market of the Hor al Dukhn Bani Hasan, and as the river port on the direct road to Kufah, renders its development inevitable.

Tarumah is a large collection of mud huts, the centre of the Ghazalat tribe, and is situated on the southern extremity of the Mishkhab.

It will eventually become a municipality, but its organisation will be of some difficulty, and is a matter for the more distant future.

It will be seen that during the last three months of the year, when the municipalities may be said to have been fairly working, the administration of the municipalities, which comprise a population of over 60,000 persons, has entailed expenditure of over Rs. 12,000/- per mensem, which has been met from municipal taxation. For next year conservative estimates are double this, and the municipal income of the Division should approximate to three lakhs of rupees.

Najaf-Kufah Municipalities, 1918.

General.—It may be of use to record a brief note on what appears to be the condition of Najaf at the close of the war, and to offer an opinion as to the problems which are likely to confront us in the near future.

Now that a start has been made we have no choice but to push ahead, and the pitfalls of the road are as full of interest as the goal which we hope to attain.

The reason why we cannot go back on our track is sufficiently obvious.

To relax control of Najaf would be to loosen our hold over the whole of the Euphrates.

To call a halt is impossible, as we cannot continue indefinitely to administer a town rotten with abuses, that loudly challenge our dignity and our courage.

Najaf-Kufah is certain to become a very large and a very important city before many years have passed. Whether it is to become a glorious monument to British administration in the eyes of every Shi'ah Muhammadan, or a hotbed of anti-British intrigue, entirely depends on our early recognition of its influence and size.

It must be remembered that the Turks did recognise this, but the diseased heart was unable to provide vigour and strength to the extremities of its circulatory system, which atrophied from malnutrition. The successful revolt of the town against the Turkish authority after the battle of Shu'aibah, and the degrading expulsion of their inadequate troops, was a blow of very considerable importance.

Najaf has hitherto figured to us as a turbulent desert town, visited periodically by large numbers of pilgrims, which will inevitably be largely increased by the opening of the Euphrates to navigation and the advance of railways.

It has not yet, however, made its real in the role of an important market at the junction of two trade routes, which will never be affected by the competition of railways.

In addition to the magnet of 'Ali's tomb this town is the possessor of a large dump, where the caravans from Central Arabia offload the raw materials of the desert, and return with rice and clothing, where Bedouin middlemen exchange the silks and saliconi of Homs and Hama with grain, cattle and merchandise from Basrah and Bombay.

The war has completely shut down this trade, but the large merchants are now ready to return to business after five years' inactivity, and we may expect a surprise when the trade routes to Hail and Damascus are once more opened.

Dwellers in Mesopotamia have not been slow to realise the advantages, temporal and eternal, which are likely to accrue to enterprising merchants, established in the neighbourhood of Mashhad 'Ali, under a settled government.

House property has already risen enormously and an immigration into Kufah has begun, even from towns on the Tigris.

الصفحة الأولى من التقرير ورقمها خمسة وثمانون التي تتحدث عن المجالس البلدية في مدينتي النجف والكوفة.

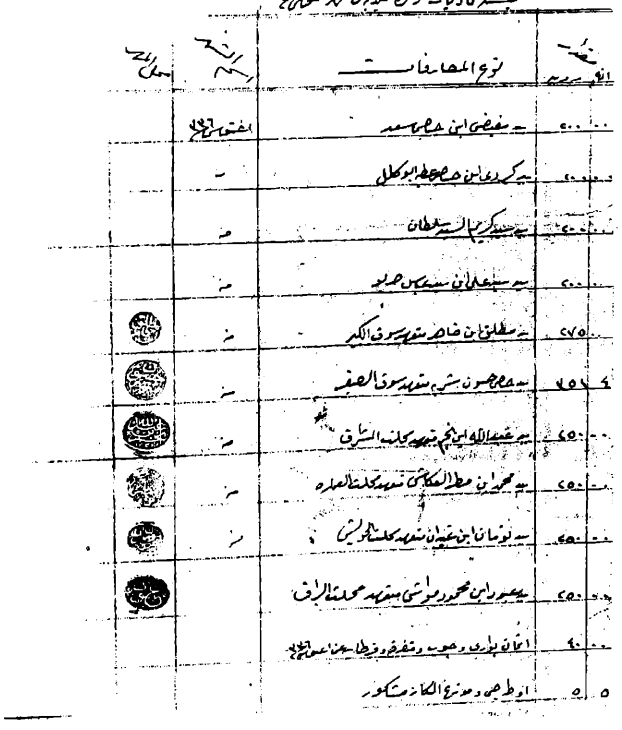

ت	نوع المصاريف	الرسم	اسم المدين
٥٠٠	١ فضي ابن حاج حسين	الفتوى ١٩٦	
٥٠٠	٢ كريم ابن حاج عطية الوكيل		
٥٠٠	٣ سليم كريم السلطان		
٥٠٠	٤ سليمان ابن سليمان حريو		
٧٧٥	٥ سلطان ابن حاج سليمان الكبير		
٧٧٥	٦ حاج حسون شريف سليمان الصغير		
٥٠٠	٧ عبد الله ابن الحاج [illegible] الشرق		
٥٠٠	٨ محمد ابن مطلك المكاوي [illegible]		
٥٠٠	٩ نوماس ابن عبدان [illegible]		
٥٠٠	١٠ عمر ابن محمود [illegible]		
٥٠٠	١١ اعلان بإبراء وجوب وتفريغ وربط [illegible]		
٥	١٢ ربط وحفر الكاز مكرر		

مقدار المبالغ التي صرفت لإنشاء شركة النقل (الترموای)
لنقل المسافرين بين النجف والكوفة

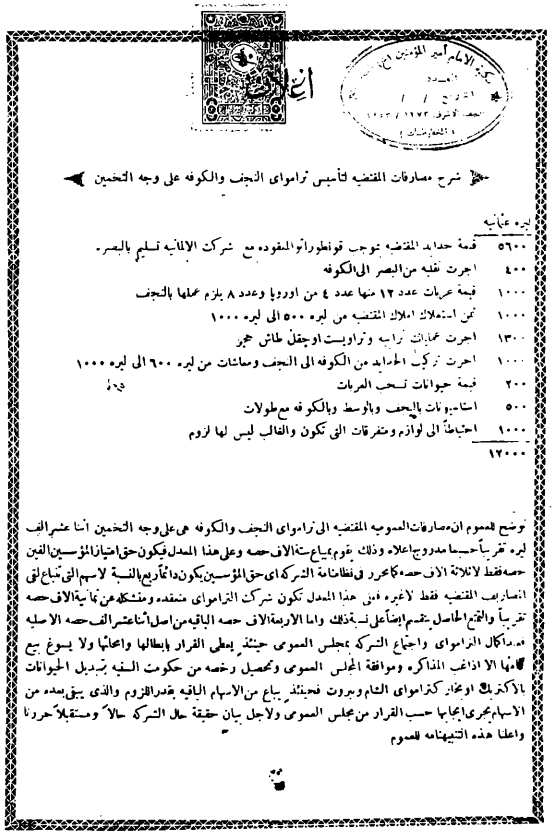

شرح مصارفات المقضب لتأسيس تراموای النجف والكوفه على وجه التخمين

ليره	عثماني
٥٦٠٠	قيمة حدايد المقضب بموجب قوطور المفقوده مع شركت الالمانيه تسليم بالبصره
٤٠٠	اجرت نقليه من البصره الى الكوفه
١٠٠٠	قيمة عربات عدد ١٢ منها عدد ٤ من اوروبا وعدد ٨ يلزم عملها بالنجف
١٠٠٠	ثمن استملاك املاك المقضب من ليره ٥٠٠ الى ليره ١٠٠٠
١٣٠٠	اجرت عمليات ترابيه وتراويست اوجقل طاش حجر
١٠٠٠	اجرت تركيب الحدايد من الكوفه الى النجف ومحاشات من ليره ٦٠٠ الى ليره ١٠٠٠
٢٠٠	قيمة حيوانات نحت العربات
٥٠٠	استابونات بالنجف وبالوسط وبالكوفه مع طولات
١٠٠٠	احتياطاً الى لوازم ومفرقات التي تكون والغالب ليس لها لزوم
١٢٠٠٠	

توضح للعموم ان مصارفات العموميه المقضبه الى تراموای النجف والكوفه هي على وجه التخمين اثنا عشر الف ليره تقريباً حسبما مدروج اعلاه وذلك يقوم بياع ستة الاف حصه وعلى هذا المعدل فيكون حق امتياز المؤسسين الفين حصه فقط لاثلاثة الاف حصه كما مقرر في نظامنامة الشركه اي حق المؤسسين يكون دائماً بربع النسبة لاسهم التي تباع الى المصاريف المقضبه فقط لاغيره فمن هذا المعدل تكون شركت التراموای منعقده ومشكله عن نهاية الاف حصه تقريباً والفتح الحاصل بقسم ايضاً على نسبة ذلك واما الاربعة الاف حصه الباقيه من اصل اثنا عشر الف حصه الاصليه فمآكال التراموای واجتماع الشركه بمجلس العموم حينئذٍ يعطى القرار ببطالها واعدامها ولا يسوغ بيع منها الا اذا غاب المذاكره وموافقة المجلس العموم وتحصيل رخصه من حكومت السنيه بتبديل الحيوانات بالآكتريك او بخار كتراموای الشام وبيروت فحينئذٍ يباع من الاسهام الباقيه بقدر اللزوم والذي يبقى بعده من الاسهام يجري ايجابها حسب القرار من مجلس العموم ولاجل بيان حقيقة حال الشركه حالاً ومستقبلاً حررنا واعلنا هذه التبيهنامه للعموم

المبالغ التي صرفت من دائرة بلدية النجف
لمتعهدي الخدمات في المدينة

صورة لنهر الكوفة تبين الجسر الذي بناه جهد الهندسة العسكري التابع للجيش البريطاني
وبعض الزوارق النهرية والأبنية المطلة على جانبي النهر.

صورة جوية لمدينة النجف التقطت في آذار عام ١٩١٨
تبين سور المدينة وكثافة الأبنية وتزاحمها.

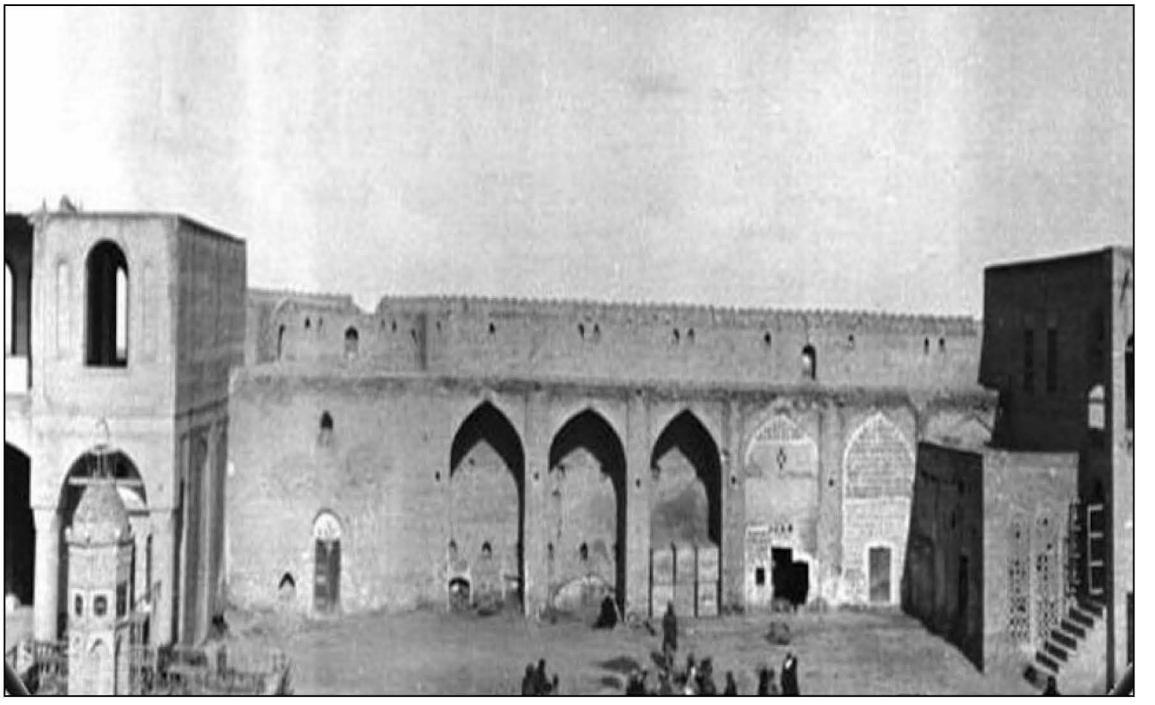

صورة التقطت عام ١٩١١ من داخل المدينة المسورة توضح بوابة الكوفة.

صورة التقطت عام ١٩١١ من داخل المدينة المسورة توضح بناية السراي الحكومي.